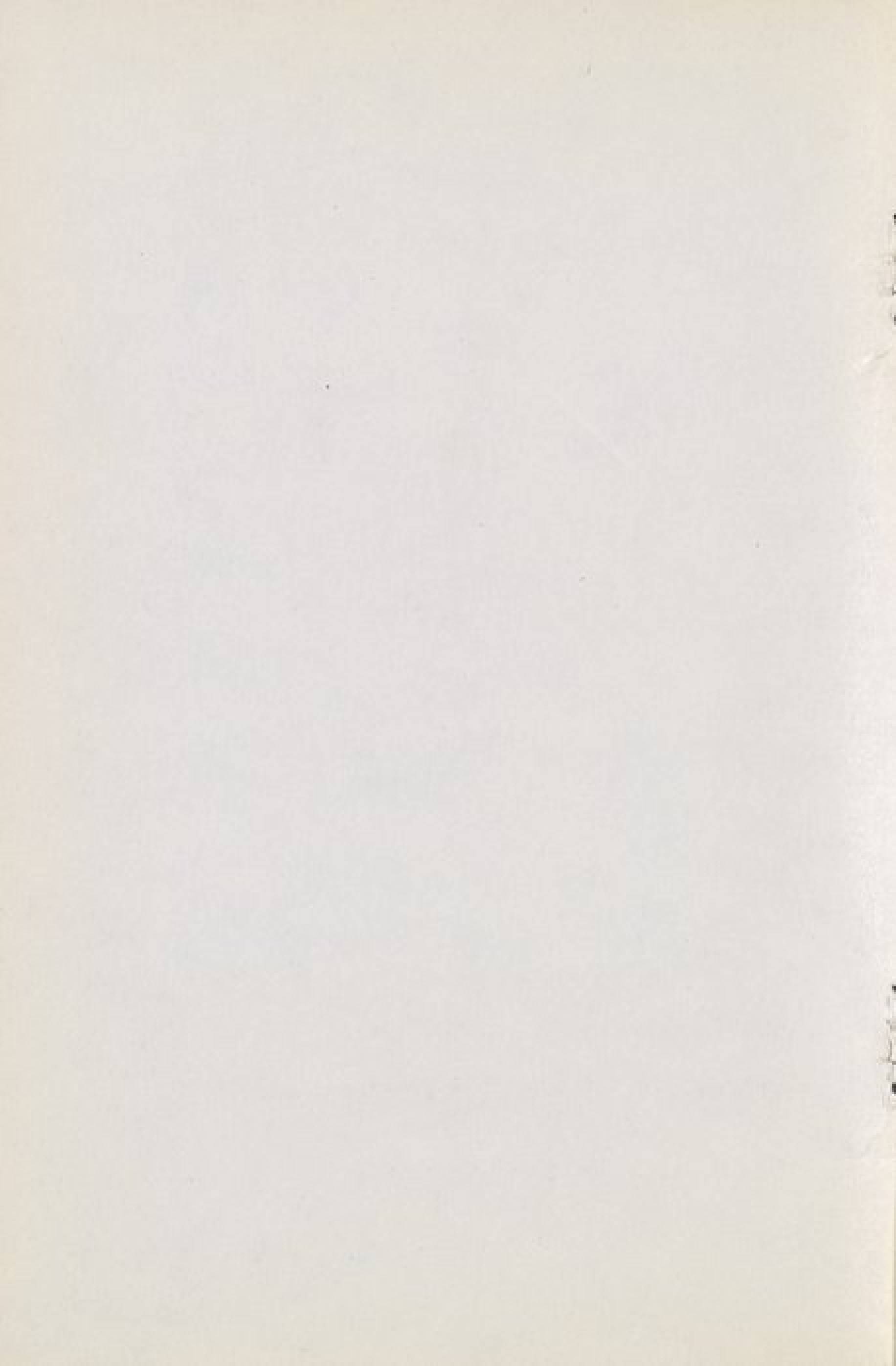
وزارة الثقافة والارشاد القومي
مديرية التأليف والترجمة

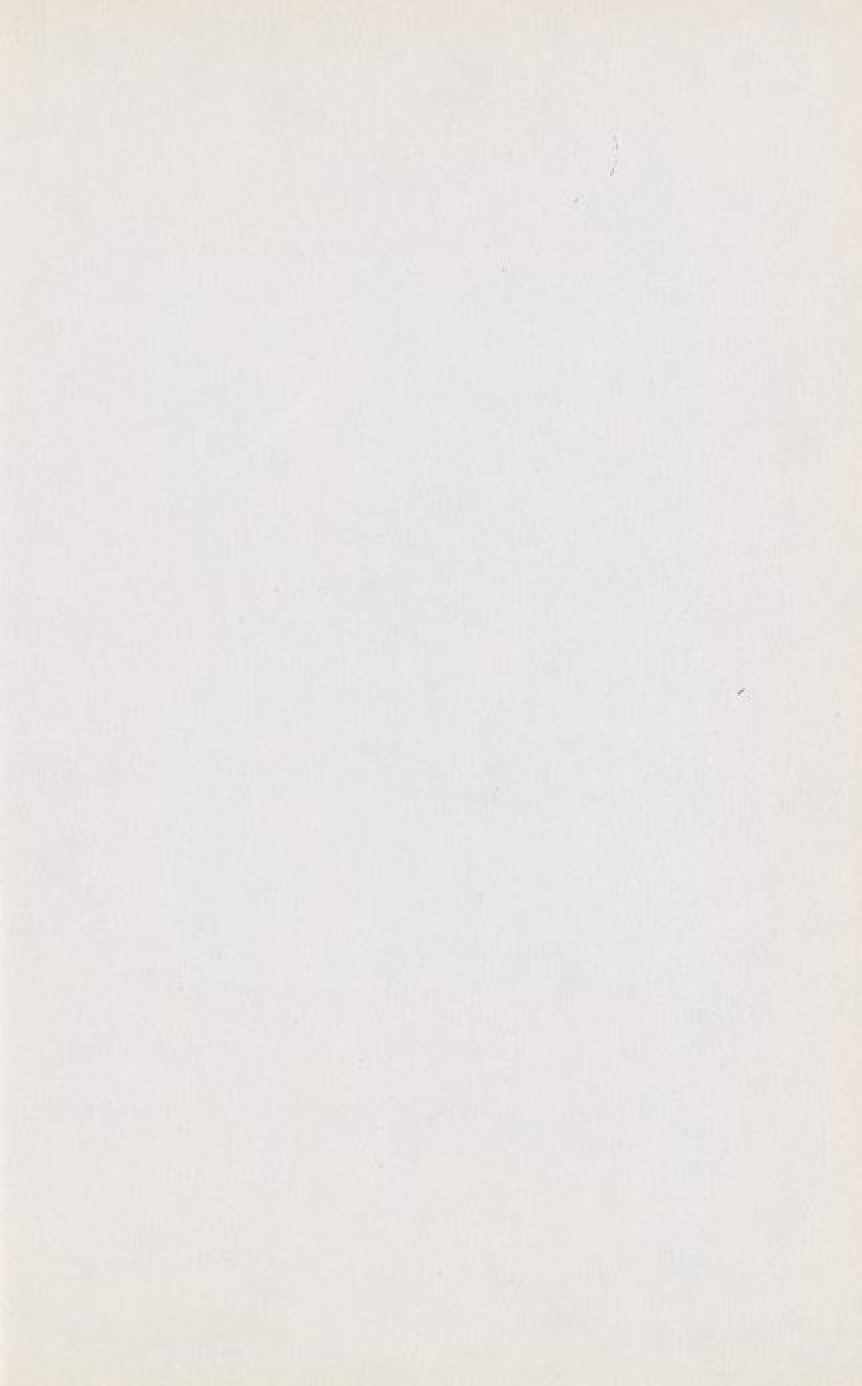
أدب المغتربين

الياس قنصل

سلسلة الثقافة الشعبية
٩







وزارة الثقافة والارشاد القومي
مديرية التأليف والترجمة

أدب المغتربين

الياس قنصل

سلسلة الثقافة الشعبية
٨

دمشق : ١٩٦٣

الى الارجنتين التي أتاحت لنـــا
حرية التعبير عن افـكارنا ، وشجعتنا بالاماثيل
التي تضمنها تاريـخ استقلالهـــا المجيد ـ على
النضال في سبيل استقـلالنا ، أقدم هــذه
الصفحات اعترافاً بفضلها وتقديراً لجميلها .

أ ، ق

المغتربون الأوائل

يسهل على المرء ان يصون لغته التي هي رمز قوميته وصلة التفاهم بينه وبين مواطنيه ، وذخر تاريخه ،وتحفظ فيه أمجاده الماضية وذكريات مآثره الغابرة – يسهل عليه ان يصون لغته وهو في بلاده وبين أبناء قومه ، فان ذلك لا يتطلب منه الا الجهد العادي الرتيب الذي هو بعض من عمله اليومي .

ولكن الصعوبة كل الصعوبة ان يستطيع المرء القيام بهذه المهمة وهو بعيد عن بلاده ، تفصل بينهما الابعاد الشاسعة التي تقاس بألوف الاميال .

وتشتد هذه الصعوبة اذا كانت الغاية التي ترك المرء بلاده لاجلها لا تتصل بالمحافظة على لغته بآصرة ، وكان مضطراً الى الكدح المتواصل في ميدان

العمل اليومي .

تلك هي حالة المهـــاجر العربي في الاقطار الاميركية .

ومن أراد أن يدرك ما لهذا المغـــترب من الفضل على اللغة ، وما ذلل من العقبـات للمحافظة عليها ، وما ضحى من هنائه حتى تمكن من تشييد الصرح الشـــامخ الذي تخفق في قمته راية النهضـــة الادبية الفكرية الذي نسجها ـ من اراد أن يدرك ذلك فلا بد له من العودة الى اولى مراحل الهجرة العربيـة ، والتنقيب عن تلك الفترة من الزمن ، والحافلة بالأصعاب .

ليس في الامكان تعيين السنة التي وطأت فيها قدم أول مهاجر أرض العالم الجديد . وقد حاولتُ أن أستطلع آراء المهاجرين القُدامى ليكون تقديري أقرب ما يكون الى الدقة ، فلم أتمكن من الوصول الى أربي : أن جميع الذين قابلتهم وحادثتهم واستخلصت تذكاراتهم كانوا يقولون لي انهم حين دخلوا اميركا

وجدوا فيها فريقاً من « أولاد العرب » استقبلوهم وهيأوا لهم أسباب العمـــل ، ضمن الامكانيات التي كانت تتوفر لهم ، وكان من عداد الذين قابلتهـم شيخ في التسعين من « بيت الحداد » مر عليه في الارجنتين اكـثر من سبعين عاماً ، يقيم في ضاحية من ضواحي العاصمـــة .

وهو بدون شك اقدم مهـــاجر سوري من الاحياء .

وكان من جمـــلة حديثه انه لما قـــدم الى « بوانس ايرس » ولا يزال عليه لباسه العربي الذي كان يرتديه في مسقط رأسه ، لحق به عـدد من الاولاد راحوا يتصارخون حوله تصارخ الفُرجـة ، كأنهم يرون مخلوقاً لا عهـد لهم بمثله من قبل ، وحدثته نفسه بالرجوع ، وكيف يتسنى له الرجوع وقد عـاد « المركب الدوّار » الذي نقله بعد أن ذاق منه وفيه ما لا يمكن أن ينساه ؟ وما زال يسير في الاسواق على غير هدى وبلا هـدف الى

أن اقترب منه شخص ، في مقتبل العمر ، حياه باللغة العربية ، وفرّق عنه الصبية ، وعرّفه بنفسه فهو «ابن عرب» قد انقضى عليه في مغتربه أكثر من ثلاثة أعوام ، وأصبح يعرف من اللغة الجديدة مايستطيع أن يخلص نفسه اذا وقع في مأزق .

ومضى الشاب بالمهاجر المذكور الى غرفة يتقاسمها وثلاثة رفاق مواطنين ، فرحبوا به وأعدوا له مفرشاً وسط الغرفة ، وحدثوه عن وجوب الاسراع في العمل ، فان اميركا على زعمهم بنت الجد والاجتهاد ، لايمكن إضاعة الوقت فيها ، وحملوه في اليوم التالي صندوقة من الخشب مفتوحة الوجه ، فيها «الخرداوات» من مشابك ومسابح وازرار وزراكيش وغير ذلك بعد ان اعاروه ثياباً محلية عتيقة ، وأفهموه عن الطريقة التي يجب ان يعرض بضاعته ويقبض ثمنها اذا اعجبت من تعرض عليه .

ولا يذكر هذا المهاجر شيئاً غير ذلك ، مما كان يهمني الاطلاع عليه ، ومن حديثه تدرك ان

المهاجرة العربية كانت قد بدأت قبل وصوله بعدة سنوات .

اما في البرازيل فاننا نعرف أن اول مهاجر من الناطقين بالضاد كان لبنانياً اسمه « يوسف موسى مزيارا » وقد وصل الى البرازيل سنة ١٨٨٠ ؛ ثم لحق به بعض مواطنيه من شمال لبنان ، ثم بعض السوريين من جبل القلمون ، وأقاموا في ولاية سان باولو .

وللقارىء ان يقدر حالة المهاجرين في تلك الفترة : فئة قليلة جداً في بلاد غريبة لايعرفون عن اهلها الا الشيء القليل جداً ، ولا يعرف عنهم اهلها الا الشيء الاقل ، والحرفة التي تمسك بها المغتربون الاوائل تدعو الى الهزء والسخرية والامتهان : رجل يحمل صندوقة فيها من كل نوع من الخردة البخسة زوجان ، يكلم الشاري بالاشارات تارة ، وبالكلمات « المكسرة » تارة أخرى ، ولا يفهم من الشاري غير كلمات معدودة ، وغير قيمة العملة التي يعرضها عليه

بدلا من البضاعة .

ولكن هذا المغترب شرع يبعث بالرسائل الى بلاده يقص على اهله وأنسبائه واصدقائه الغرائب التي تضمها هذه البلاد العظيمة الجديدة ، ويخبرهم ان « كمره » اصبح يضم عدداً من الليرات الذهبية التي ربحها من عمله ، ولم يكن في بلاده يرى الا وجه القرش ، ولا يراه الا في المناسبات القليلة ، وفي يد غيره من الاغنياء .

ودبّت الغيرة في نفوس الشباب وهم يتناقلون هذه الاحاديث التي انطوت عليها رسائل المهاجرين ، وصار الكلام عن اميركا موضوع السهرات ، وتحمس فريق منهم تغلي في دمائهم مراجل الطموح ، واذا بالمراكب في بيروت تحمل الى العالم الجديد الدفعات الجديدة من هؤلاء الذين يريدون ان يجربوا حظوظهم .

ورأى هؤلاء المتعلمون ان في وسعهم ان يقوموا بعمل أدبي يحتاجه اخوانهم ، عمل يبرهن على أن الذين يحملون صناديق المسابح والصلبان والازرار

ويقولون انها من « اورشليم » من الارض المقدسة ، على ان هؤلاء لا يقلون عن غيرهم من الجاليات أخذاً باسباب العمران والرقي والتفاتاً الى كل ناحية من نواحي الحياة : ذلك العمل هو انشاء صحيفة !

وانشاء صحيفة في تلك البيئة وذلك العهد مغامرة لاتقل عن ركوب البحر الى عالم مجهول .

انشاء جريدة باللغة العربية في اميركا مسألة اشبه ما تكون بالجنون !

اننا ننظر اليوم الى هذه المغامرة نظرة الاستغراب البسيط ، فقد اعتدنا عليها ، وتذللت امامها الصعوبات التي كانت في ذلك الزمن تفاجىء المفكرين بهذه المغامرة .

حتى نحن الذين نتمثل ما لاقاه الذين اقدموا عليها ، وقد عشنا في الوسط الذي عاشوا فيه — حتى نحن لا نستطيع ان نقدر هول هذه المغامرة التي نصفها بأنها معدومة النظير في تاريخ المهاجرين من سائر انحاء الدنيا .

وليتمثل القارىء فداحة الصعوبات التي كانت تحول دون انجاز ذلك المشروع : ان المهاجرين من قلة العدد بحيث لايمكن لجريدة ان تنال الاشتراكات التي تهيء لها استنشاق نسمات الحياة ، والحوانيت التجارية العربية لم تكن تعرف ماهو الاعلان وما نفعه، فضلا عن ان فقرها لايسمح لها بهذا البـذخ الذي يكلفها ما لا طاقة لها على احتماله .

وأدوات الطباعة من أين يأتون بها ؟ أين المسكب الذي يصب الاحرف العربية اللازمة لطبع الجريدة ؟ أين الذين يصفون الاحرف بعضها الى بعض ؟ وكيف يتم توزيع الاعداد وأين تباع ؟

كل سؤال من هذه الاسئلة يضم عقبة من العقبات التي ترجع عنها العزائم خائرة خاسرة.

وكل عقبة من هذه العقبات تتفرع عنها صعوبات جديدة تكفي واحدة منها لتغري بالرجوع عن هذا العزم الذي فيه شكل من أشكال الانتحار .

ولم تكن هذه العقبات المادية فحسب هي التي

تجعل من المشروع عملا جنونياً ، كان هنالك الذين لايخلو منهم مجموع ، الذين ينظرون الى الادب بامتهان، ويجربون أن يثبطوا الادباء بكل مالديهم من قوة .

ولم يصل الينا ماسمعه هؤلاء الذين فكروا اول ما فكروا باصدار جريـــدة لمواطنيهم، ولكننـــا نحث ملكة التخيل ونقدر ان العبارات التي « شجعهم » بها هؤلاء لم تكن تخرج عن هذا النطاق :

قال الاول : أنتم جئتم الى اميركا للكتابة ؟ لماذا لم تبقوا في بلادكم ؟ ان ذلك أجدى لكم وانفع .

وقال الثاني : ان ربح المال يحتاج الى سواعد مفتولة لا الى أفكار ناضجة .

وقال الثالث : ضعوا عقل الرحمن في رؤوسكم واحملوا صندوقة الخردوات وسيروا على بركة الله.

وقال الرابـع: ومن الذي لديه وقت للمطالعة وكلنا نعمل من الصباح الى المساء .

ونتخيل ان كثيراً من هؤلاء بلغت بهم الحماسة ضد هذه الفكرة مبلغاً أخذوا معها يركبـون اصحابهـا

بالدعابة والهزؤ .

ونحن لانذهب في دنيا الخيال ولا نطير على اجنحة التخمين ،اذا كانت هذه المشاهد والمسامع تجري اليوم ، ولايتورع المتشائمون عن بذل اقصى مافي جهودهم لردع الادباء والصحفيين عن تطبيق رغباتهم في خدمة المجموع ، وقد بلغنا من العلم والثقافة والمدنية درجة نحسد عليها ـ اذا كان هـــذا يجري اليوم ، فما قولك بما كان يحدث منذ سبعين من الاعوام وفي بلد لم يذهب اليه آباؤنا الا سعياً وراء الكسب الذي عز عليهم في مساقط رؤوسهم ؟

ولكن الهمة القعساء لايعتريها الضعف اذا كان صاحبها من الذين وضع الله في قلوبهم العبقرية .. تلك الشعلة التي تحرق صاحبها لتنير السبيل لغيره .

وفي سنة ١٨٩٤ اي بعد عشرة اعوام على وصول اول مهاجر عربي الى شواطىء البرازيل صدرت في مدينة من محافظة « سان باولو » هي مدينة « كمبيناس » . صدرت الجريدة الاولى باللغة العربية وكان اسمها «الفيحاء» وكان صاحباها « سليم ودعيبس بالش » .

وقد حاولت أن احصل على نسخة من هذه الجريدة، فكتبت الى جميع الذين قدرت انهم يكونون قد احتفظوا منها باعداد فلم أحظ برغبتي ، ثم اتصلت بالمكاتب العامة في سان باولو أسألها أن تبعث لي بصورة فوتوغرافية للعدد الاول من « الفيحاء » فكان الجواب بأنه ليس لديها أي عدد من هذه الجريدة .

وكل ما استطعت أن أعرفه خلال بحوثي هو ان حروف الطبع جلبت من ألمانيا ، وهي بالطبع من النوع القديم جدا الذي نرى مثله الآن في القديم من جرائد المغرب العربي .

ان اعداد تلك الجريدة لو أمكن الحصول عليها لكانت حجة على الاقدام العربي الذي يتحدى الصعوبات ويقهرها .

الصحافة

كان صدور اول صحيفة عربية « الفيحاء » حدثاً تاريخياً عظيماً لأنه شق السبيل البكر الى القمة التي بلغتها الضاد في العالم الجديد . وكان العامل الرأسي في ايجاد النهضة الادبية العربية التي ارسلت أشعتها من هناك فأنارت جانباً من السبيل المدلهم وبددت ستار الدجية التي كانت تعانيها اساليب التعبير عن الخواطر والآراء .

واستقبلتها الجالية العربية في البرازيل وفي غيرها باستغراب فيه نوع من الحفاوة، ودهشة فيها شكل واضح من التقدير : جريدة عربية في اميركا مطبوعة بلغة عربية تحمل مقالة رئيسية عن الغاية التي أنشأت من أجلها وطائفة من أخبار الوطن منسولة من الجرائد التي كانت ترد في البريد

البحري البطيء ، وطائفة ثانية مستخلصة من الرسائل التي يرجع تاريخها الى شهرين ماضيين ، ونخبة من أخبار الجالية في البرازيل ليست بذات بال ولكنها لا تخرج عن كونها اخباراً عن فريق من المواطنين معروفين باسمائهم ومتاجرهم المتحفزة الى الاتساع ، وتتضمن الصفحة الاخيرة وهي الرابعة اخباراً عالمية مترجمة عن الصحف المحلية .

أما الذين اندرجت أسماؤهم في الصحيفة من المغتربين فقد اتخذوا العدد برهاناً على عظمتهم وتفوقهم ، وحجة أنهم زعماء او أقرب الناس الى الزعامة .

وتجاوز الاقبال على تلك الجريدة حدود التفاؤل التي كانت تدغدغ صاحبيها ، وشاهدا فيه تشجيعاً لهما ، فصدر العدد الثاني بعد اسبوع وفيه آثار من التحسين .

وظلت « الفيحاء » تغزو اجتماعات المغتربين سنتين على وجه التقريب ، وهي فريدة وحيدة في ذلك لمغترب .

وشجع الاقبال الذي لاقته فئة، من المواطنين الذين في نفوسهم الكفاءة والاهليـــة للكتابة والتحرير، فاندفعوا في هذا الطريق الشائك _ الصحافة _ واخذت تظهر هنا وهناك الصحف والمجلات .

ووجد آخرون ان المجال انفسح أمامهم لنشر ما كانوا قد نظموا من قصائد اوحتها اليهم الغربة ، وانتشرت الابيات الشعرية الاولى مغلفـة بالحنـــين والشوق الى الوطن .

ووصلت الى المهاجر الاخرى العدوى من الجريدة الاولى ، فما هي الا سنوات قليلة حتى صدرت زميلات لها في الولايات المتحدة وفي الارجنتين .

ونستطيع ان نشبه هذه الحالة بصرة محبوكة من القماش كانت تسد مجرى من مجاري ساقية ، فما جاءت الاصابع التي نشلتها من موضعها حتى تدفقت المياه العذبة تغني أنشودة الجمال ، وتروي ما حولها من أراض وحقول ، وتبعث الحياة في الاغراس الصغيرة على حفافها ، فلا يمر عليها طويل وقت حتى تغدو أدواحاً عظيمة ، فيها الفيء المرغوب

والثمر المطلوب والجلال الساحر الباهر .

ان الجرائد والمجلات العربية التي صدرت في الارجنتين تبلغ المائة ، ولا يزال منها حتى الآن عدد يتجاوز أصابع اليدين .

وقد أنشىء في البرازيل مايزيد عن المائة من المجلات والجرائد لايبرح منها الى الآن عدد يتجاوز أصابع اليد الواحدة .

أما في اميركا الشمالية فعدد الصحف العربية التي عرفتها الجالية لايبلغ نصف مابلغته في المهجرين الآخرين ولا يفتأ عدد منها يصدر الى الآن .

ولم تخل بقية الجمهوريات الاميركية كالمكسيك والاوروغواي وتشيلي وغيرها من مواطنين أقدموا على احتراف الصحافة العربية ، وانشأوا من المجلات عدداً لابأس به ولكنه لم يستطع ان يصمد أمام الصعاب الكثيرة التي كانت ولا تزال تقف في وجوه الذين يرغبون في أن يؤدوا رسالة القلم .

والصحافة في أغلب بلدان الدنيا ـ الصحافة الحقيقية

التي يعتبرها صاحبها رسالة لا تجارة – هي مهنة من أشق المهن ومن أكثرها تطلباً للتضحية الخالصة ، ولكنها في البلدان العربية أكثر مشقة من زميلاتها وهي تطلب دفعة أكبر من التضحية والتجرد .

أما في المهاجر الاميركية ، فالصحافة العربية هي شيء قريب جداً من الانتحار المقصود ، وأردد كلمة (المقصود) لأن الذين يقدمون عليها يشاهدون بامهات عيونهم ما آلت اليه حالة السابقين من زملائهم ، غير أنهم لايتورعون – مع ذلك – عن خوض غمرات هذا الجهاد الذي ليس من وراءه الا الخسارة والخذلان .

وكيف لاتكون الصحافة العربية في المهاجر ما أصف ، وهي لاتلقى أي تشجيع عملي ، ولا تدعمها أي قوة رسمية أو شبه رسمية .

وكيف لا يكون الصحافي العربي في المهاجر الاميركية بطلا من أبطال الكفاح الادبي الصحيح ، وهو الذي ابصر أمامه سبيلين : سبيل التجارة الذي يدر عليه كما يدر على الكثيرين ممن ليسوا اذكى منه

ولا أنشط ـ أرباحاً جسيمة تتراوح بين الضخامة والضآلة تراوحاً لايخرج عن نطاق الاكتفاء المادي والاستقلال المعنوي .

وسبيل الادب الذي يتطلب منه التعب الشامل والكدح المتواصل ثم يفضي به الى نتيجة لا تختلف عن حالة العدم والخسران والفشل ؟

كيف لايكون الصحفي بطلا وهو يرى أمامه السبيلين ولا يتردد لحظة واحدة في الاختيـــار ، وفي اختيار السبيل الثاني ، وعلى وجهه بسمة تنم عن الرضى التام والارتياح الواضح .

والمجموع ـ أمة كان أو جالية ـ المجموع الذي لايخلو من هؤلاء المغامرين المجازفين ، الذين يعرضون عن متاع الدنيا ليسيروا خلف نداء الواجب ـ المجموع الذي لايكون بينه أمثال هؤلاء المجازفين ، هو مجموع مقضى عليه بالهلاك ، وما كانت الجاليات العربية وهي شطرة الشعب العربي الذي أغنى التاريخ بأبطاله الميامين في سائر ميادين الحق والرشاد ، ما كانت الجـــاليات الا

لتقدم الدليل الواضح على أنه لاتزال في عروق أبنائها
بقية من ذلك النشاط الذي هو مجلى اعتزاز للنفسية
العربية ، ومن تلك التضحية التي هي شارة من شارات
أمتنا المجيدة .

ويحق لنا أن نسأل : وما هي الفائدة التي جنتها
النزالات من الصحافة ؟

ونجد الجواب بارزاً في ديمومة الروح العربية .

ان الصحافة استطاعت ان تكون العامل الاولي الفعال
في الاحتفاظ بالنفس العربي بين المغتربين، وبين كثيرين
من أبنائهم الذين رأوا النور تحت سماوات البلدان العربية .

لولا الصحافة العربية في المهاجر الاميركية لما
ظهرت النهضة الفكرية التي بناها هناك أبناء الضاد .

لقد وجهت تلك الصحافة المغتربين في السوانح
التي كانوا فيها بحاجة الى التوجيه ، ووجهتهم الى الاهداف
التي لم يكونوا يملكون تحديدها او تعيينها .

لقد حفظت في قلوبهم الحنين الى الوطن بما كانت
تنشره من أخباره في صفحاتها .

ولقد قامت في المهاجر جمعيات عديدة من اجتماعية وسياسية ورياضية وخيرية ، ولولا الصحافة التي كانت تعنى كل العناية بنشر اخبارها وارسال الدعوات الى مؤازرتها لما أحرزت من النجاح ما أحرزت ولا حافظت على كيانها كما حافظت .

وتأسست في المغتربات الاميركية مدارس عديدة ، والدعوة الى تأسيسها تعود الى الصحافة العربية .

وكانت هذه الصحافة هي المنابر التي تعلو منهـــا الصرخات لتأليف اللجان لمساعدة المظاهر التي تفتقر الى مساعدة في الوطن الأم .

وتقرر أنه ما من مجلى للفرح قام في الوطن الا كان المغتربون في طليعة من يؤازرونه بما يستطيعون اليه سبيلا ، وما حلت على الوطن نكبة – وما أكثر النكبات التي احتملها وطننا في الفترات الاخيرة – الا كان المغتربون في مقدمة من يمد اليه يد المواسـاة ، ويفعلون ذلك تلبية لصوت الواجب الذي تذكرهم به الصحافة العربية .

على ان الفضل الاكبر الذي يجب ان نسجله للصحافة العربية في العالم الجديد هو أنها كانت الواسطة لظهور « الادب المهجري » .

وما الادب المهجري الا هذه الدفقات الجديدة من الحياة التي انبثت في شرايين الادب العربي العام، فساهمت في نقله من حالة الجمود التي كان يتخبط فيها الى ما هو عليه الآن من الحيوية .

لولا الصحافة العربية في المهاجر ، لولا هـــذه الصحافة التي كان البعض يشكو من كثرتها ، وكثرتها نعمة لأنها نوعت الاتجاهات الفكرية ، ولولاها لما تمكن الأدباء من أن يجدوا امامهم الطريق ممهـدا لنشر بنات أفكارهم ، واتحاف العالم العربي بالروائع التي فتحت آفاق طريفة من الخواطر والاساليب ولا نكون منصفين اذا حاولنا ان نفرق بين الصحافة والادب في العالم الجديد ، فان معظم الصحفيين كانوا فرسان هذه اليقظة التي لم يسجل لها مثيل في سائر الآداب العالميـة .

كان الصحافي يتعاون والاديب تعاوناً يتجاوز ما نعرف من حدود للشركة ، ويصبحان ، وكأن كل منهما مسؤول وحده عن المضي في هذه الحلبة التي ليس لها الا الجزاء المعنوي الذي نعرفه وهو كلمات : « احسنت وأجدت وعافاك الله » وما الى ذلك من المكافآت التي لاتزال سارية لسوء الحظ في سوق الادب.

لولا الصحافة العربية في المهجر لما تذوق الناس أدب جبران بالسهولة التي عرفوه فيها ، وهي التي كانت تنقل طُرَفه الى العالم العربي ، وتسرع الصحافة في العالم العربي الى إتحاف قرائها به .

لولاها لما غمرت أنوار هذه النهضة الادبية المهجرية أنحاء الدنيا العربية بسرعة تكاد تكون نورية ، واذا بالادباء يرون في أدب المهجر روحاً جديدة لاعهد لهم بها ، وتتقدم فئة كبيرة للسير في في الطريق الذي سار الادب بين مجاريه ، وفيه جدة الحياة ، وقوة الحياة ، وروعة الحياة .

الرابطة القلمية

منذ خمسين سنة تقريباً اجتمع في « سان باولو » فريق من الشباب ، منهم من يحمل مشعل الادب ، ومنهم من يتذوق الادب ، وقرروا تأسيس هيئة أطلقوا عليها اسم « رواق المعري » وراحوا يعقدون الجلسات الادبية ، وزادهم فيها القصائد التي كانت تطلع بها الصحف المصرية ، وفي طليعة الشعراء الذي كان نتاج افكارهم مدار البحث في تلك الجلسات: احمد شوقي وحافظ ابراهيم وخليل مطران ، وكان هؤلاء في مطلع الشباب ، وكانت بواكيرهم تبشر بما سيكون لهم من شأن في دولة الشعر ، ولم يكن للنثر ماله من المكانة الآن ، فهو رازح تحت أثقال الجمود يجر سلاسل السجع المقيت ، وكانت فئة من الادباء تحاول ، وتوشك ان

تكون معدومة النصير ، تعريته من الزخارف التي التي تعوقه عن المسير الحر الطليق .

ولم تنتج هذه المؤسسة الادبية عملياً الا اصدار ديوان « تذكار المهاجر » لقيصر معلوف وهو اول ديوان من الشعر العربي صدر في العالم الجديد ، ولكنها مهدت السبيل لتأسيس صحف عديدة ظهرت في فترات متفاوتة ، عدا عن أنها شحذت القرائح ، ودفعت البعض من المؤسسين الى انتهاج مسلك الادب .

وتمر الاعوام ، وتتفتح عين الادب في المهجر ، وفي العالم العربي على حدث ، لا بد لمن يكتب تاريخ القلم بانصاف من الرجوع اليه ، ومن احلاله المكانة الجديرة به : اننا نعني بذلك انشاء « الرابطة القلمية » في مدينة « نيويورك » .

لم يكن أحد يقدر في بدء عهدها ما سيكون لها من الاثر البعيد في نفخ الروح الجديدة في الادب العربي ، وكان عميدها جبران خليل جبران قد شرع يحلق في أفق

الابداع الذي اصبح بعدئذ جوه الخاص .

وكان ميخائيل نعيمة «فيلسوف بسكنتا» اليوم ، لولب الحركة فيها ، والداعي الى تأليفها والباذل اقصى الجهد لضمان حسن سيرها .

وها هو يحدثنا عن ذلك العهد وعن الرابطة القلمية بأسلوبه الشيق الزاهي :

« محت الحرب العالمية الاولى فيما محته من الاسماء اسم « الفنون » من سجل الصحافة ، فقضت على زنبقة هيفاء فواحة في حقلنا الادبي كنت وجبران نتعشقها ونغار عليها غيرة غارسها وولي أمرها نسيب عريضة وأشد . فقد كانت لنا وللكتلة من الادباء في نيويورك بوقاً صافي الصوت لانخجل من ان ننفخ فيه من ارواحنا ، وكانت يداً جميلة ونظيفة يلذ ان نضع في راحتها نتفاً من قلوبنا وافكارنا وكانت ادارتها ملجأ لشوارد آرائنا وجواً فسيحاً يمتزج فيه هزئنا بجدنا وتلتقي احلامنا بآلامنا » .

نعم ، ماتت الفنون – كما يقول نعيمة – وكانت من

ارقى المجـــلات مادة وتبويباً ، وأخذ ادباء الرابطة القلمية يبحثون عن غيرها لتكون ميداناً لبنات أقلامهم فوجدوها في « السائح » فاتخذوها بوقاً لهم ، واصبحت ادارتها محجة خطراتهم ، فيها يجتمعون لا اقل من مرة في الاسبوع عصبة صغيرة تفاوتت قوتهـــا ، ولكن توحدت نزعاتها ومراميها ، بينها من كتب في حياتـه قليلا ثم انقطع عن الكتابة كل الانقطاع ، وبينها من لا يكتب الا في النادر ، وبينها من كان لايقعده عن الكتابة غير قوة فوق قوته ، لكنهم كلهم المقلال منهم والمكثار والذي لايقل ولا يكثر ، قد تقاربوا فـيما يستسيغون ويكرهون من الادب ، وبالطبـع كان ضمن هذه العصبة افراد تربطهم الفة أدبية وفنية وروحية أقوى من التي كانت تربط العصبة بمجموعها .

من تلك العصبة تألفت الرابطة القلمية وأعضاؤها هم :

جبران خليل جبران عميدها

ميخائيل نعيمة مستشارها

وليم كتسفليس خازنها

أعضاؤها : ندرة حداد ، ايليا ابوماضي ، وديع باحوط ، رشيد ايوب ، الياس عطا الله ، عبد المسيح حداد ، نسيب عريضة .

وكان تأسيسها في العشرين من نيسان سنة الف وتسعمائة وعشرين .

ومن غاياتها السعي لبث روح جديد نشيطة في جسم الادب العربي ، وانتشاله من وهدة الخمول والتقليد الى حيث يصبح قوة فعالة في حياة الامة .

وعُهد الى الاستاذ نعيمة بوضع قانون لها ، فدبج مقدمة تبين روح الرابطة ومراميها ، وكان من المقدمة هذه النبذ التي لاتزال الى الآن دستوراً صحيحاً من دساتير الادب القوي :

ليس كل ماسطر بمداد على قرطاس ادباً ، ولا كل من حرر مقالا او نظم قصيدة موزونة بالاديب ، فالادب الذي نعتبره هو الادب الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهواءها . والاديب الذي نكرمه هو الاديب الذي خص برقة الحس ودقة الفكر وبعد النظر .

ان هذه الروح الجديدة التي ترمي الى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد الى دور الابتكار في جميع الاساليب والمعاني لحرية في نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة . فهي أمل اليوم وركن الغد ، كما ان الروح التي تحاول بكل قواها حصر الآداب واللغة العربية ضمن دائرة تقليد القدماء في المعنى والمبنى هي في عرفنا سوس ينخر جسم آدابنا ولغتنا وان لم نقاوم ستواري بها الى حيث لا نهوض ولا تجدد .

بيد اننا اذا ماعملنا على تنشيط الروح الادبية الجديدة لانقصد بذلك قطع كل علاقة مع الاقدمين فبينهم من فطاحل الشعراء والمفكرين من ستبقى آثارهم مصدر الهام لكثيرين غدا وبعد الغد ، غير اننا لسنا نرى في تقليدهم سوى موت لآدابنا ، لذلك فالمحافظة على كياننا الادبي تضطرنا للانصراف عنهم الى حاجات يومنا ومطاليب غدنا ، وحاجات يومنا ليست كحاجات امسنا » .

هذا هو الدستور الذي وضعته الرابطة القلمية لنفسها بقلم مستشارها ، وقد سارت عليه سيرا متزناً صحيحاً أغنى الادب العربي بالروائع التي حملتها الى الدنيا « الفنون » اولا « والسائح » بعدها .

ووضع جبران للرابطة شعارها ، وهو دائرة في وسطها كتاب مفتوح وعلى صفحتيه خطت هذه الآية من الحديث الشريف : « لله كنوز تحت الارض مفاتيحها ألسنة الشعراء » وفوق الكتاب قد أطلت شمس ملأت أشعتها نصف الدائرة الاعلى وعند أسفل الكتاب سراج شطره الايمن محبرة قد انغمس فيها قلم فتحول حبرها الى لسان من نور خارج من طرف السراج الايسر وتحت الدائرة اسم الرابطة القلمية مخطوط بأحرف مستقيمة الزوايا تشبه الخط الكوفي .

على أثر تنظيم الرابطة أخذت كتابات عمالها تظهر في أعداد السائح وتحت عنوان كل مقالة او قصيدة اسم صاحبها متبوعاً بهذه الكلمات « العامل في الرابطة القلمية » وفي صدر كل عام كانت السائح تصدر عددا ممتازا يشترك فيه كل عمال الرابطة من التحرير الى انتقاء الورق والغلاف وتنسيق المواد وتحديد القطع ، وهذا العدد كان يطلع على الادب العربي كحدث خطير ، فكتبت الصحف فيه فصولا ، وتنقل عنه الشيء الكثير ، وهكذا انتشر اسم الرابطة القلمية في العالم العربي وكل مهاجره ، وأقبلت

الصحف على آثار عمالها تنقلها وتعلق عليها ، وقام البعض بجمعها في مجموعات ،منها مايدرس في بعض المدارس . ونقم انصار التقاليد والجمود عليها فما كانت نقمتهم الا لتزيدها قوة وحماساً واندفاعاً ، ولتنمي عدد انصارها ومريديها ومقلديها والمعجبين بها في كل قطر عربي حتى حار في أمرها أصحابها وأعداؤها على السواء فما عادوا يعرفون الى ماذا يعزون سر قوتها وبعد تأثيرها ، فمن قائل ان السر في الادب الاميركي الذي تأثر به عمال الرابطة وهو قول فارغ ، ومن قائل انه في تهتك عمال الرابطة من حيث اللغة العربية واصولها ،وهو قول أفرغ واسقم . واما الحقيقة فلا يعلمها الا الذي جمع عمال الرابطة في فسحة محدودة من ديار غربتهم ولمحة معلومة من زمان هجرتهم ووضع في صدر كل منهم جذوة تختلف عن أختها حرارة وبهاء ولكنها من موقد واحد .

هذا مايقوله « ناسك الشخروب » عن قوة السيرورة التي نعم بها أدب الرابطة القلمية .

وأنا أرى ان سر قوته في صدقه ، فهو يعبر أدق تعبير عن خوالج النفس ومشاعرها ، ولايحاول ان يشغل القارىء

بالتوابل اللفظية او المقبلات السجعية ، انه يعرض على القارىء مايحس القارىء انه كان خليقاً بأن يعبر عنه لو ملك الوسائل التى يحتاجها التعبير الصادق عن الخواطر .

ومن مظاهر صدقه ـ بساطته ، انه يستبعد ما امكن عن التعقيد ، انه يختار الكلمات التي يستطيع أي امريء ان يفهمها ، لا يلجأ الى القاموس ينبش منه الكلمات التي دفنها الزمن ، وبساطته لاتقتصر على الكلمات بل هي تتناول الاسلوب ايضاً . فليس فيه عبارات مركبة تركيباً خاصاً تظهر فيه الصنعة اكثر مما تظهر الفكرة، وليس فيه دوران حول الموضوع يضيع فيه القارىء في شعاب مجهولة النهاية .

ومن مجالي بساطته انه لايأنف من أن يتناول الموضوعات التي يأنف منها « الادب العالي » الجامد فهو أنأى ما يكون عن الارستقراطية، واقرب ما يكون الى الديموقراطية اذا صح هذا التعبير العصري .

ان ادب الرابطة القلمية أفسح المجال للحق في تعبيره وكلماته وأسلوبه وخواطره لأن الذين طلعوا على العالم العربي به كانت نفوسهم مليئة بالحق .

يقول جبران عن الحياة :

« ما أكرم الحياة وما اسنى هباتها ، ليت لي الف يد منبسطة امام السماء والارض بدلا من هذه اليد الخجولة القابضة على حفنة من تراب الشاطىء » .

أيمكن ان يعبر شاعر عن لهفته الى الحياة الشاملة التي يرى كل ما فيها يعانق بعضها بعضاً عناق محبة ، لا حواجز فيها ولا حدود ، بعبارة اكثر بساطة من هذه العبارة وأشد بلاغة منها ؟

ألا يشعر المرء وهو يردد كلمات هذه الهتفة النفسية ان الوجود برمته ينفتح امام الخاطر ، لينسى الحاقد حقده والمتكالب على حياة الدنيا تكالبه ، والقابض بكفه على المتاع الفاني ما يقبض عليه ؟

هذا هو رأيي في سر القوة في أدب الذين أسسوا الرابطة القلمية وكانوا اركانها ، ولا غرو في ان تحدث هذه الهيئة الادبية ما أحدثته من أثر بعيد في المحافل الادبية في العالم العربي ، فقد كان صوتها جديداً ، ولم يكن جدته مستمدة من طفرة لاتلبث أن تحدث رد فعل اوما يشبهه ، وانما كانت قائمة على أسس دفقات الصدق دفع بها الى الامام حتى احتلت المركز الذي لم تتزحزح عنه على الرغم من تفرق اعضائها وانفراط عقدهم .

العصبة الأندلسيّة

الجمعية الادبية الثالثة التي أنشأها المغتربون هي « العصبة الاندلسية» في سان باولو البرازيل ، وقد ظهرت الى عالم الوجود سنة ١٩٣٣ ، واتخـذت اسمها تيمنـاً بالعصور الاندلسية الزاهية .

وكان الادب العربي يوم تأسست في اوج ازدهاره في البرازيل على الرغم من خلوه من جامعة تصل بين حملة الاقلام بصلة الالفة والمؤانسة ، وكانت خطواته في ميادين الابداع تشير الى ان زعامته انتقلت او هي على وشك الانتقال من الشمال الى الجنوب، وكانت المجلات التي تحمل الى العالم العربي تلك النفحات الطيبات ثلاثاً :

اولاها مجلة « الجالية » لصاحبها المرحوم سامي يواكيم الراسي ؛ وكانت اعدادها تحفل بصفة خاصة بالقصص الطويل

الذي فيه تحليل للعواطف الانسانية ، ويعد كثير من الروايات التي نشرتها بقلم صاحبها طرفاً من العرض التحليـــلي ، ثم انتقلت المجلة الى الاستاذ توفيق قربان ، فصدرت منهـــا ثلاثة اعداد على نسق « المقتطف » ، والاستـــاذ قربان في طليعـة كتاب العرب ، جمال اسلوب ودقة تحليل وصدق استنتاج ، وله ابحـــاث في اسرار اللغة العربية تبرهن على تفكيره العميق ، وتضلعه الواسع بما تضمه الضاد من بلاغـة ساحرة ، وله طريقة في الكتابة توشك ان تكون فريـــدة ، فهو يختار الكلمات الفصيحة التي يستعملها العـــامة احسن الاختيار ، ويضعها في المواضع التي تناسبها اتم المناسبـــة ، واذا القارىء يرى فيها جمالا لم يكن يعهده فيها قبل ان يطالعها في مقالة قربان او في قصته .

والمجلة الثانية التي التف حولها الادباء العرب في ذلـك العهد في البرازيل هي مجلة « الشرق » لصاحبها الاستـــاذ موسى كريم . وليس بين ارباب الصحف التي صدرت في العالم الجديد من يفوقه همة ونشاطاً ، ومجلته تسجل الدليل الناصع ، ففي كل عدد من اعدادها تلمس نبضات الحياة ، ولهذا الصحفي المبدع عناية خاصة بالباس اعداده حللا فضفاضة من الاناقـة

تتفق وما تضمه من بحوث ورسوم .

اما المجلة الثالثة التي كانت مظهراً من مظاهر النهضة الادبية في تلك الجمهورية فهي مجلة « الاندلس الجديدة » لصاحبها الاستاذ شكر الله الجر وهو شاعر عاطفي ، وقد احتجبت منذ سنوات عديدة بعد أن أدت قسطها من الخدمة في محراب الفن .

على ان دفقات الادب في ذلك المغترب اخذت شكلا آخر : هو « الكتاب » ، فقد صدر ديوان « الرشيديات » لرشيد سليم الخوري المعروف بالشاعر القروي ، وهو اول ديوان من الشعر لهذا المجاهد القومي النابغة الذي صرف حياته يلهب النفوس بالحماس العربي ، وتلاه ديوان « القرويات » وضم فيه نخبة من قصائده القومية الوطنية رسمت سبيل الفكرة العربية الصحيحة التي سار عليها فريق كبير من شعراء الوطنية .

ونشر الشاعر النابغة الياس فرحات في تلك الحقبة « رباعياته » فكانت من الاحداث البارزة في عالم الادب ؛ لانها جلت نوعاً طريفاً من الشعر يتناول الموضوع الهام فيختصره في ابيات اربعة تنتهي عادة بحكمة تذهب مذهب

المثل ، ولفرحات موهبة في سكب الحكم يكاد لايتفوق عليه بها شاعر معاصر ،وثارت حول الرباعيات ضجة قوية ، فقد اتهمه خصومه وهم كثر بأنه انتحل كثيراً من أفكار أبي العلاء المعري ، وهي تهمة لم يقم عليها دليل ، وكانت من الاسباب التي زادت في توطيد مركزه في عالم الادب .

ثم صدر لهذا الشاعر «ديوان فرحات» محتوياً على قصائده العامرة التي انبعثت من كل موضوع ، وكان ابرز الابواب فيه الناحية القومية ، شأنه في ذلك شأن زميله وصديقه القروي ، وديوان فرحات مستند لا يستطيع الناظر في ادب المغتربين الا ان يعتمده ليسجل تموجات تفوقه وابداعه .

وصدرت في تلك الفترة كذلك ملحمة «على بساط الريح» لفقيد النبوغ المرحوم فوزي المعلوف ، وكتب مقدمتها شاعر الاسبان الاكبر الاستاذ «فيجاسباسا» ، وهذه الملحمة برهنت على ان للشعر الغنائي محله من نفوس الشعراء العرب واجادتهم فيه خلافاً لما كان يدعيه الكثيرون من ان العرب لم يعنوا بهذا الضرب من الشعر لما يتطلبه من رهافة حس ، ودقة شعور .

ان المظاهر السابقة جميعها كانت بمثابة حافز للادباء للنظر

في حالتهم مجموعاً ، وتأكدهم من افتقارهم الى هيئة أدبية تجمع شملهم ، وينخرط في سلكها كبار شعراء المهجر البرازيلي وكتابه ، ويكون من غايتها ايجاد التآخي بينهم ومن أهدافها تعزيز الادب العربي في المهجر وتأسيس منتدى أدبي صرف ، واصدار مجلة تنطق بلسانهم ، وايجاد الصلات القلمية وتوثيق روابط الوكلاء بين الادباء المغتربين ، وبين سائر محافل الادب العربي في العالم ، والسعي بكل الوسائل الممكنة لرفع مستوى العقلية العربية ، ومكافحة التعصب الذميم الذي كان سبباً في المشاجرات الداخلية ، ونقض التقاليد التي لا تتفق وروح العصر وتؤدي الى الجمود الفكري ، دون ان يكون لهذه الهيئة الادبية اي صبغة سياسية او دينية او اقليمية .

وكان أسبق الادباء الى الجهر بالدعوة الى انشاء تلك المؤسسة الاستاذ الجر صاحب « الاندلس الجديدة » الذي كان يقيم في العاصمة « ريودجانيرو » .

وسافر الى مدينة « سان باولو » حيث العدد الاكبر من أدباء الضاد ، وراح يتصل باخوانه فرداً فرداً ، مؤكداً لهم الفوائد التي لا بد ان يجنوها من اتحادهم في عصبة تعمل

لمجد الادب ، ولرفع كرامة الاديب ، فاندفعوا كما يقول صاحب الدعوة – بحماستهم المعهودة يؤيدونها وينشرونها .

وعقد الاجتماع التأسيسي الاول في دار المرحوم ميشال المعلوف ، واسفر عن تجسيم الفكرة ، واختير لرئاستها صاحب الدار .

ولم يشرك الحضور معهم احداً من اصحاب الصحف الكثيرة يومذاك باعتبار ان ليس كل الصحافيين من الادباء فاذا ادخلوا احداً منهم عتب الآخرون .

واجمع الحاضرون على ان تكون مجلة « الاندلس الجديدة » لسان حالهم ، ومسرح افكارهم .

واستقبلت الصحف العربية في المهاجر وفي الوطن خبر انشاء العصبة الاندلسية بالاطراء والثناء والتفاؤل بازدهار الادب وجمع كلمته في البرازيل اسوة بالرابطة القلمية في نيويورك ، وكانت يومئذ في طريقها الى الانفراط بعد ان توفي عميدها جبران ، وعاد نعيمة الى لبنان ، ففقدت بذلك عاملين قويين من عوامل نشاطها المأثور ، واستمرت مجلة « الاندلس الجديدة » في عاصمة البرازيل تنشر نفثات اقلام العصبة ، عاما وبعض العام حتى ظهرت مجلة « العصبة » الرسمية في سان باولو بعناية رئيسها ميشال معلوف ، الذي

بذل الكثير من الجهود الادبية والمادية لدعمها، وعهـد برئاسة تحريرها الى الكاتب اللوذعي الشيخ حبيب مسعود، فجاءت على بساطة شكلها آية في الفن والترتيب وحسن الذوق في التبويب .

وبعد ان حجب الموت رئيسها الاول انتخب عوضاً عنه عنه ابن شقيقه الشاعر الكبير شفيق معلوف ، فكان الروح النير الحكيم فيها، واسبغ عليها من بيانه وشعره الخالد حللا قشيبة ، ووقاها عثرات العجز المادي مما ابقاها دوحة وارفة الظلال تغرد في افنائها بلابل الشعر والنثر .

واعداد العصبة في سنواتها الثلاثة عشرة هي سجل للادب العالي الناضج الذي حول انظار المعنيين بشؤون القلم الى ذلك المغترب النائي . وصدق شفيق معلوف حين قال مشيرا الى ماقامت به العصبة : وجل الآثار التي نشرت فيها خالدة ولولا المجلة لصارت الى الضياع ، بل لولا ما في الالتفاف حول المجلة من المغريات وفي التكاتف على النشر فيها من الحوافز لما أتى اصحابها منها الا بالنزر اليسير ، ولولا ان الادب متفش في اعراقهم ، متغلغل في عظامهم ، لما طلعوا على الفن بأثر ، ولا سخوا على الفكر ببارقة ،

حيث لامجال الا لجولان الارقام في الرؤوس ، ودوران الرغيف امام الابصار ، وتدوية الحديد في المسامع ، وطالما سمعنا عنهم ورأيناهم بأم العين جاهدين كادحين ، يقذفون بأنفسهم في مطارح الغربة ، ضاربين في كل مجهل سعياً وراء العيش ، عاكفين على غير ما خلقوا له ، وهم على حد ماقاله طاغور : كالكوكب الذي ينتزع من سمائه ليصنع منه عود ثقاب .

ولئن قيل في العصبة انها لم تختط لنفسها نهجاً في الادب معلوماً ، فذلك لأن أركانها قد أجمعوا على النضال في سبيل الادب من حيث هو فن وجمال دون مانظر الى اطار او مصدر ، فلا اعتراف من معين ينبوع منشود ، ولا تمسك بفرع من فروع الشعر محدد . وان لمن اميز ما اتسم به ادب العصبة وشعر شعرائها انهم ترسموا اساليب الفصحى وتقيدوا بأحكامها ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، كما انهم جلوا في ميدان التجديد صامدين بأدبهم صموداً حاسماً دون فوضى التجديد .

وأقامت جمعية العصبة الاندلسية في المناسبات العديدة حفلات كانت من ادلة النهضة الادبية البارزة وألقيت فيها

من القصائد والمقالات ما نقلته الصحف في العالم العربي بالاعجاب والثناء ، وكانت الحفلة الكبرى التي أحيتها لذكرى المتنبي الالفية سوق عكاظ تليت فيها روائع من من الشعر والنثر يكاد لايدانيها الا القليل القليل مما ألقي في عديد الحفلات المماثلة التي أقيمت في الدنيا العربية ، وانضم تحت لواء العصبة عدا عن الشعراء الذين ذكرناهم آنفاً عدد من حملة الاقلام الذين لاتعرف عنهم الاندية الادبية مايجب ان تعرف ، لأنهم مقلون ، ولأن مشاغل الحياة صرفتهم عن الاهتمام ببنات اقلامهم ، منهم :

قيصر سليم الخوري المعروف بالشاعر المدني ، وهو شقيق الشاعر القروي ، وله مقاطع تمور بالصور الدقيقة التي لاتلتفت اليها الا عين الفنان الذي لاتفوته حركة من حركات النفس او خلجة من خلجات الشعور .

ونصر سمعان ، وفي شعره ثورة لاهبة على الاستعمار ودعوة الى التحرر من قيود الجمود .

ونعمه قازان وهو يسلك مسلك جبران ويقصر عنه ولا شك ، فلجبران قوة من نفسه في أدبه ، لانجدها الا في النوابغ .

ومن أدباء العصبة المبرزين الاستاذ نظير زيتون ، وقطعه النثرية آفاق من البيان الساحر تدل على نضـوج في التفكير .

وجورج حسون المعلوف ، وبلاغته المشرقة تنم عن روح متشبعة بالجمال .

وكثيرون غير هؤلاء اغنوا الادب العربي الذي تجلى على صقال العصبة بمقالات فيها سلاسة الاسلوب وعمق التفكير وحسن العرض .

وصدرت في البرازيل كتب عديدة ـ غير التي ذكرناها ـ كان لصدورها من الدوي البعيد ما لا نستكثر على ما تضمنته من بدائع الفكر .

وفي طليعتها ديوان القروي وهي مجموعات هذا الشاعر النابغة ، مطبوعة في مجلد واحد من الف صفحة .

و « احلام الراعي » افرحات ، ودواوينه الاربعة ـ « الربيع ، الشتاء ، الخريف ، الصيف » .

و « عبقر . ولكل زهرة عبير ، ونداء المجاذيف » للشاعر الفذ شفيق معلوف .

لقد كانت حركة الادب في البرازيل خصبة الى آخر

حدود الخصب وكانت مساهمتها في تجديد الادب العربي العام مساهمة لينة هادئة ، لم تنصب دفعة واحدة بقوة فجائية كما فعلت النهضة الادبية في نيويورك محاولة ان تغير الاساليب والاوضاع، وانما تناولت ناحية التفكير، محتفظة بثوب البيان العربي ، صائنة ضوابط اللغة .

ان الادب العربي في البرازيل ، استطاع ان يعبر عن مشاعر صاحبه ويصور ما ارتسم في تفكيره ، ويسجل ما رآه من وقائع يومه باسلوب عربي مبين ، تشعر معه بالقوة والحياة ، ولا ترى فيه بلبلة في التركيب ، ولا رطانة في التعبير ولا تشويشاً في الصيغة .

الرابطة الأدبية

لم يتح للادب العربي في الارجنتين ما اتيــــح له في الولايات المتحدة وفي البرازيل ، ففي نيويورك اجتمعت أضمامة من حملة الاقلام تختلف المظاهر في مواهبهم ، ويتفق الجوهر ، فالابداع الذي كان ينبثق من نفثات جبران كالابداع الذي يمور في صفحات ميخائيل نعيمة ، ورهافة الحس التي يلمحهـا القارىء في الصور التي يسكبها القروي تماثل قوة الخلق في الموضوعات التي يصبها فرحات .

اما في الارجنتين فقــد كان الملهمون من الشعراء والكتاب العرب وهم قلة ، في اول الميدان ، وكان البقية ، وهم كثر ، في وسطه . وهذا التفاوت بين الفئة والاخرى هو من الاسباب التي عاقت التماسك ، واجلت التعاون بينهم .

واذا تجاوزنا هذه الدواعي الى غيرها مما يتصل بهـا ، وجدنا ان الشهرة التي رزقها الادب العربي في نيويورك ،

تعود الى جدته الفجائية التي طلع بها على العـــالم العربي .
فكأن النفوس كانت قد ملت اساليب الادب المسيطرة في ذلك العهد ، وكأنها كانت تنتظر ان تتغير اوضاعه لتتمشى مع الحياة ، فما كادت تطل اولى بوادر تلك النهضـــة حتى هفت اليها النفوس ووجدت فيها الضالة التي تنشد ، غير مبالية ببعض الضعف الذي يمس اللغة ، ولا ببعض الوهن الذي يبدو في اختيار الكلمات .

ساهم الادب العربي في نيويورك بتوطيـــد اركان النهضة الفكرية ، ومهد السبيل لأدب البرازيل العربي الذي نال ما نال من ذيوعة الصيت ، ولم ينلها اعتباطاً ، بل عن جدارة واستحقاق ، فقد ضم الى الفكرة النيرة تمسكاً بقواعد اللغة ، فارضى الذين يهمهم من الادب مايحمل من ثياب ، وارضى الذين يهمهم من الادب ماينطوي عليه من تقيد في النحو ، ولم يسع ادب الرابطة القلمية الا ان يكون كذلك ، فلم يكن لاربابه فسحة للنظر في دقائق اللغة : ان البناء يوضع له الاساس اولا ثم الجدران ، اما الطلاء وما اليه ، فلا يليق الا بعد اكتمال الاساس وارتفـــاع الجدران ، والخياط الذي يعد الكسوة يفصل اولا بصورة اجمالية ، اما التفاصيل الصغيرة التي تجعل من الطقـــم اداة

للزينة فبعد ذلك .

وهكذا نرى ان النهضة الادبية بدأت في نيويورك ، وتوطدت في سان باولو ، ثم امتـدت الى بوانس ايرس ، فكانت هناك فرعاً قوياً لم يستطع ان يلفت اليه الانظار، وان يكن قد ساهم اكبر المساهمة في تركيزها، وزاد عليها اعتناؤه بالاقصوصة ونعني بها هذا السرد للوقائع اليوميـة التي يشهدها الناس ،لا يلتفت إليها الا الذي فيه موهبـــة الملاحظات الدقيقة .

وظلت المحـــاولات لتأسيس هيئـة تضم الادباء في الارجنتين ، تبدو بين الحين والآخر ، وتقف دائماً امامهـا عقبات عديدة اهمها التفاوت الذي ذكرناه آنفاً الى ان كانت سنة ١٩٤٩ .

في أوائل هذا العام أمّ الارجنتين شاعر يمتاز بمواهبـه الفنية وشمائله العربية الغالية هو الاستاذ جورج صيـدح ، وآلمه ان لا يكون في الارجنتين ، وهي التي تظـل عدداً كبيراً من الشعراء والكتاب ، جمعية تضم شملهم ، وتسعى لرفع شأنهم كالرابطة القلمية في نيويورك وكالعصبة الاندلسية في سان باولو ، وعرض فكرته على الفريق الناضـج من زملائه ، فوجد إستعداداً لمؤازرته .

وأنشئت تلك السنة « الرابطة الادبية » وغايتها الرئيسية جمع كلمة الادباء واعلاء مركز الادب .

واختلفت عن غيرها من الندوات الادبية بأن لا نظامات رسمية لها فقانونها مايمليه الضمير الحي والغيرة على الادب .

وراحت تعقد جلساتها كل اسبوع ، حيث تتلى المنتوجات الادبية الجديدة ، ويجري البحث فيها تحبيذاً او استنكاراً .

وكان من فضلها الفوري ان عادت الى الادب اقلام كانت منصرفة عنه ، فقدمت انتاجاً ممتازاً دل على ان الاديب لاينسى رسالته في الحياة مهما جارت عليه الايام .

وكانت الجلسات الاسبوعية التي تعقدها الرابطة تثير الاهتمام بين المواطنين ، فيجتهدون في حضورها ، ويطلبون من اعضائها ان يحجزوا لهم أمكنة للاستمتاع بما يتلى فيها .

ولم تكن الاجتماعات تتخذ اي صبغة رسمية ، وانما كانت تنقضي بين سمر وشعر وفكاهة وأدب ، وكانت الروح المرحة هي التي تسيطر على المباحثات .

ومن أعضاء الرابطة الاستاذ صيدح ، ويجد القارىء في شعره قوة مقرونة الى بساطة ، وبلاغة فيها من السلاسة ما يدل على ملكته الفنية .

والاستاذ يوسف الصارمي وهو صاحب مجلة «المواهب» الشهرية ، كاتب ضليع له عناية خاصة باللغة ، ومن المطلعين على اسرارها لاتقع أمامه كلمة فيها شيء غير مألوف الا بادر الى القاموس ليظهر خطأها ، او عمد الى ذاكرته فاستشهد من مخزوناتها القديمة بما يؤيد ريبته .

والاستاذ عبد اللطيف الخشن صاحب جريدة «العلم العربي الاسبوعية وهو كاتب ، لايخلو عدد من جريدته من مقالة نقدية لوضع من اوضاعنا الاجتماعية .

والشاعر زكي قنصل ، وتمنعني اخوتي من تبيان دقة احساسه ورهافة شعوره ، ولكن قصائده الوجدانية تنوب عني بتأدية هذه المهمة .

والمطران نيفن سابا ، وكان عهدئذ في الارجنتين يشترك مع أعضاء الرابطة في الجلسات وفي تقديم انتاجه الشائق الذي يعتمد فيه على المفاجآت اللفظية ، وله في هذه الناحية غرائب تغوي وتعجب .

والمرحوم حسني عبد المالك ، وهو من كبار كتاب

العرب ؛ في انشائه فخامة تأخذ الالباب وهو يتخير الكلمات والتراكيب كما يفعل الصائغ حين يريد ان ينظم عقداً يقدمه مثلا على مهارته .

والذي يكتب هذه الابحاث —

وغيرهم من الادباء الذين لايزالون في الارجنتين يمونون الصحف العربية بما يقدمون لها من شعر ونثر .

وعقدت الرابطة جلسة تأسيسية ثانية قررت فيها مايلي :

ثلاثة لاموضوع لهم في ندوة الرابطة :

الاديب الذي لايتذوق النكتة الشعرية ، ولا يهضم التوفيق البياني في نتاج زميله .

الاديب الذي لايتسع صدره للنقد ويحمل لناقده الحقد .

الاديب الذي لايفهم الخدمة الادبية بمعناها الشامل ، بل يقصرها على شخصه ، فيتطلب من الرابطة أن تكون أداة لاغراضه ، ويتوقع من أعضاءها ان يحملوه على أكتافهم الى أحضان الشهرة والمجد .

وعلى هذه الخطة سارت الرابطة ، فسجلت من ملح الدعابة والفكاهة الى جانب انتاجها الجدي ما حمل الكثيرين على الاعتقاد بأن انظار الدنيا العربية ستنتقل من

سان باولو الى بوانس ايرس .

وكانت الكلمات التي تتلى في الجلسة تنشر في غداتها في الصحف العربية في الارجنتين دون ان يزاد عليها شيء او ينقص منها شيء ، ويتولى الكتابة اعضاء الرابطة بالتناوب.

وعلى سبيل المثال ، وبياناً لروح تلك الاجتماعات نذكر انه في احداها ، وكانت تعقد في دار الاستاذ صيدح رأى كاتب هذه الفصول صورة لصاحب الدار معلقة على الجدار فأنشد :

صيدح في صورة كم تشتهي لو لم تكنه
قيل : صفها، قلت تكفي انها اقبح منه

ولا بد ونحن نصف الادب العربي في الارجنتين من الاشارة الى مظهر من المظاهر تفرد به عن غيره : ذلك عناية فريق من أركانه بالكتابة باللغة الاسبانية ، واطلاع المجتمع الذي حلوا بين ظهرانيه على مافي تراثنا من طرف تكاد تكون معدومة النظير في كثير من الآداب العالمية .

وفي طليعة الذين قاموا بتأدية هذه المهمة خير القيام، الاستاذ يوسف الغريب فقد ترجم الى اللغة الاسبانية افضل مقالات جبران خليل جبران ، فاستقبلتها الاندية الادبية

استقبالا طيباً ، وشجعه ذلك على الرجوع الى الادب العربي القديم ، فنقل منه نبذاً عديدة جمعها في كتاب اسماه « حكمة العرب » تولت نشره احدى دور النشر الكبيرة ، ولقي من الرواج مالم يكن يحلم به أشد الادباء تفاؤلا .

وهناك اديب آخر بذل الجهود الموفقة في هذه الناحية دون ان يثير اي ضجة هو الاستاذ ميشال قزما الذي ترجم طائفة مختارة من الادب العربي نشرها في كراريس خاصة كان يصدرها بين الحين والآخر ، وفي اعداد مجلة اسبانية اصدرها مدة ، والاستاذ قزما من كبار الخطباء ، وله خدمات اجتماعية مشكورة .

ولا نكون منصفين مادام الحديث عن الادب العربي اذا أغفلنا التنويه بعمل أدبي قومي عظيم جليل هو ترجمة القرآن الكريم الى اللغة الاسبانية ، وقدتولاها الاستاذ سيف الدين رحال - كاتب من الطراز الاول عليم بخفايا اللغة العربية علماً يكاد لايفوقه به لغوي ، ومكنته تضلعه باللغة الاسبانية من اعداد هذه الترجمة الدقيقة يعاونه فيها الدكتور سنتياغو بيرالتا .

ويضاف الى هذا الفضل - فالترجمة أدق ترجمة فرنجية

للكتاب الخالد - ان فيها تصديرة باللغتين العربية والاسبانية تستغرق مائة وسبعين صفحة تضم من الابحاث الدقيقة والاستنباطات الجديدة ماهو في حد ذاته كتاب له شأنه وله فائدته .

وفي وسعنا ان نضيف الى أدباء العرب في الارجنتين المرحوم الدكتور حبيب اسطفان اكبر خطيب عرفته المهاجر العربية فقد كان يقضي معظم اوقاته على ضفاف النهر الفضي بعد ان يزور سائر الجمهوريات الاميركية يسحر سامعيه ببلاغته ، وفي بوانس ايرس الّف كتابه « الشعوب الاميركية » ولا يزال هذا الكتاب مسندا من مساند الباحثين في مستقبل تلك الشعوب وماضيها ونفسيتها .

ان حملة الاقلام في الارجنتين لم يكتفوا بأن يساهموا في تطعيم الادب العربي بالروح الجديدة التي نستطيع ان نسميها الروح المهجرية العربية ، بل اقدموا على عرض روائع الادب العربي بلغة البلاد التي حلوا فيها ، فكان لهم بذلك فضل برفع مكانة الامة التي ينتسبون اليها ، وبلفت الانظار الى ماتحويه من قطع فكرية خالدة .

أدب الشمال

نستطيع ان نقسم الشعر العربي في المهاجر الاميركية الى قسمين : الشمالي والجنوبي ، وهما يختلفان في الاتجاه ويشتركان في الهدف ، يتباينان في المظهر ، ويتفقان في الجوهر .

كلاهما ساهم في اذكاء نار اليقظة الادبية ، وبث في الفكر العربي هذه الروح الجديدة التي نقلته من وهدة الجمود الى قمة الحياة .

بدأت الهجرة العربية الى العالم الجديد منذ سبعين عاماً تقريباً ، وكان هم المهاجرين الاوائل ان يحرزوا بعض المال ثم يعودوا الى اوطانهم .

ومرت عليهم سنوات تركز أثناءها مستقبلهم ، فأخذوا يلتفتون الى نفوسهم ، وشرعوا يقابلون بين ما ينعمون به في البلدان التي حلوا فيها ، وبين الحرمان الذي

يكابدونه في مساقط رؤوسهم ، وكان اهم مـــا رأوا من الفروق : الحرية .

وهـــذه النزعة ــ الحرية ــ هي التي وجهت ادبهم في سائر المسالك ، وهي التي سيطرت على بنـــات أفكارهم سيطرة تجلت في معظم آثارهم .

واتخذت هذه الغاية في مغتربي الشمال طريقـاً غـير الطريق المألوف في مثل هذه الحالة .

رأى أدباء الرابطة القلمية ان الادب العربي غير حر وان قيود الجمود تعوقه عن الحركة وعن السـير ، وعن التقدم ، ووازنوا بينه وبين الادب الاميركي ، فهالهم الفرق ، ودفعتهم رغبتهم في الحرية الى تلك المحاولة الجريئة : فك السلاسل عن التفكير ، فك السلاسل عن اساليب التفكير ، فك السلاسل عن وسائل التفكير .

ونقول انها محاولة جريئة ونحن نعني مانقول بالحرف ، فما بالقليل ان تكون الاغلبية الساحقة سـائرة في مجـار قديمـة . درجت عليها منذ عشرات عديدة من الاعوام ، ثم تقوم فئة في المغترب لتحول هذا المجرى عن مسيله الى الى مسيل آخر .

لا ننكر أن بوادر جمة من التجديد ، وبوادر أخرى من النقمة على الجمود كانت تبدو في الافق العربي ، ولكن أصوات الكثرة كانت تطفو على تلك القلة ؛ وكانت محاولاتهم تصطدم بعقبات يصعب تذليلها .

وتعاون هؤلاء الثائرون على الجمود في الآفاق العربية مع أدباء المغتربين الاوائل ،فاستطاعوا ان يزحزحوا ما كان يقف في سبيل الحرية الفكرية في عالم الضاد .

وما كاد الطريق يتمهد حتى صوب أدباء الرابطة القلمية جهودهم الى دعم الحرية الاجتماعية في بلدانهم .

التفتوا الى اوطانهم فعاينوا الدولة العثمانية تحاول ان تقضي على الروح العربية بجميع مالديها من وسائل ، فهبوا يحاربونها بجميع ما لديهم من وسائل ، ويؤازرون هتفات المطالبة بالحرية التي كانت تعلو من كل ناحية .

وساعد أدباء الرابطة القلمية جميع حملة الاقلام الذين كانوا قد اتخذوا من اميركا الشمالية مغترباً لهم ، وكان الخالد الذكر امين الريحاني في طليعة هؤلاء الذين رفعوا أصواتهم يعززون الروح العربية التي تقض مضاجع الحاكمين الاتراك لأنهم يرون فيها المخل الذي يقوض سلطتهم في اقطار الضاد .

والمقالات التي كتبها الريحاني ذودا عن العروبة ودفاعاً عن كرامتها وسيادتها أكثر من أن تحصى ، وأشهر من أن تعرف .

فاذا تصفحنا الريحانيات - الجزء الاول - وجدناه يخاطب تمثال الحرية القائم على مدخل مرفأ نيويورك بهذه العبارات التي كانت تعبر عن اماني ابناء العرب في المهاجر الاميركية :

«متى تحولين وجهك نحو الشرق ايتها الحرية ، أيتاح ان يرى المستقبل تمثالا للحرية بجانب الاهرام ؟ ايمكن ان نرى لك مثيلا في بحر الروم ؟ متى تدورين حول الارض لتنيري الشعوب المقيدة والامم المستعبدة ؟ »

ويتوجه الى البواخر التي يراها في ذلك المرفأ العظيم بما يلي :

« خذي معك ولو زجاجة صغيرة من هذا الماء المقدس ، ورشي سواحل مصر وسوريا وفلسطين والاناضول ، وكل جزيرة تمرين بها ، وكل بلاد تقصدينها ، وكل شعب يحيي سواريك قباب كنائسه ومآذن جوامعه ، احملي سلام هذه الآلهة التي تنير طريقك في الخروج من العالم الجديد » .

وتجلت هذه النزعة الى الحرية في مظاهر أخرى في

أدب المهجر الشمالي : تلك هي نقمته على الاختلافات الدينية التي يبرأ منها الدين ، وعلى النعرات الطائفية التي كانت اسباب الكثير من الفتن التي عاناها الشرق العربي .

ويؤلف الريحاني قصته المعروفة « المكاري والكاهن » ويتوفق فيها بجملته ، فلا تضم حوادثها مانراه في مقالات الريحاني من نبرة عالية ، ولكنها تكون درساً عميقاً لما في الدين من مثالية هوت عليها جدران الجهالة ، فكادت تزهقها . ويركز جبران خليل جبران حملته على هذه الناحية ، وتكون له قصصه المشهورة التي تمثل الحالة التي غادر فيهـــا بلاده ، فضلا عن بدائعه العديدة المنبثة في كتبه ، المنطوية على الدعوة الى التحرر من قيود النعرات الاثيمة .

وأدب المغتربين الشماليين طافح بالامثلة على هـــذه النزعة التي سرت عدواها من العالم الجديد فمحت او كادت تمحو هذه الجرثومة التي كان يحركها الاستعمار ليبلـــغ ما يصبو اليه من مآرب سياسية في بلادنا .

يقول وليم كتسفليس خازن الرابطة القلمية :

« عرفت قوماً يفضلون شعر المتنبي ، وآخرون يفضلون المعري او الشريف الرضي ؛ ولكنهم لايتباغضون من أجل

ذلك ، اما الجهلاء من اتباع الاديان فلا يكتفون بالتفضيل ، سبحان الله ، أمن المعقول أن أبغض أخي لأنه رفض ان ينجو من النار على يدي ؟» .

وتشتد النقمة في جبران فلا يكتفي بالاقاصيص التي كتبها ومنها « الارواح المتمردة » و « الاجنحة المتكسرة » التي يدعو فيها الى الاهتمام بلباب الدين المجرد عن إثارة البغضاء فيقول :

«من يستطيع ان يفصل ايمانه عن أعماله وعقيدته عن مهنته ؟ »

من يستطيع ان يبسط ساعات عمره أمام عينيه قائلا : هذه لله وهذه لي ، هذه لنفسي وهذه لجسدي ؟

ان جميع ساعات الحياة أجنحة ترفرف في الفضاء منتقلة من ذات الى ذات .

وان من ينظر الى فضيلته نظرته الى افضل حلة يلبسها ، فالاجدر به ان يسير بين الناس عارياً لأن الريح والشمس تمزقان وجهه .

وكل من يقيد سلوكه وتصرفه بقيود الفلسفة والتقليد انما يحبس طائر نفسه في قفص من حديد .

لأن أنشودة الحرية لا يمكن ان تخرج من بين العوارض والقضبان .

وكل من يعتقد أن العبادة نافذة يفتحها ثم يغلقها فهو لم يبلغ بعد الى هيكل نفسه الذي نوافذه مفتوحة من الفجر الى الفجر .

ثم يعود جبران في الكتاب نفسه فيقول عن الحرية وهي الميزة البارزة في أدب المهجر عامة مخاطباً ابناء اورفليس :

« قد طالما رأيتكم ساجدين على ابواب المدينة والى جوانب المواقد تعبدون حريتكم .

وانتم بذلك اشبه بالعبيد الذين يتذللون امام سيدهم العسوف الجبار يمدحونه ويسجدون له وهو يعمل السيف في رقابهم .

نعم وفي غابة الهيكل ، وظل القلعة . كثيراً ما رأيت أشدكم حرية يحمل حريته كنير ثقيل لعنقه وغل متين ليديه ورجليه .

ان ما تسمونه حرية انما هو بالحقيقة أشد هذه السلاسل قوة ، وان كانت حلقاته تلمع في نور الشمس وتخطف ابصاركم »

ان هؤلاء الأدباء الذين حملوا على مسببي الفتن في مقدمة

المؤمنين لأنهم يريدون ان ينشروا الحقيقة عارية من الزخارف التي تشوهها ، لأنهم سعوا الى نشرها ، وكابدوا في سبيل ذلك ما كابدوا ، فقد اتهمهم الكثيرون بما هم ابرياء منه .

كان هؤلاء الادباء يعتقدون الحق ، فلم يشاؤا ان يسخروا ضمائرهم لغير الحق ، وكانوا ينشدون نفع مواطنيهم فمشوا في هذا السبيل الوعر ، لم يحفلوا بالاشواك التي كانت تدمي ايديهم وأرجلهم .

وكانت تلك الصرخات المدوية اجراساً نبهت النفوس الكثيرة من غفلتها التاريخية التقليدية ، فاذا هي تطرح عن طواياها غبار السنين ، وتستقبل شمس الحقيقة مغتسلة بأشعتها الباهرة .

ولا شك في أن للبيئة التي عاش فيها هؤلاء الادباء اثرها في تحبيب الحرية اليهم ، وفي سعيهم لحمل بلدانهم على الاقتداء بها وبأهلها .

ان تلك البيئة تنظر الى الامور نظرة ليس فيها نار الحماس الفوري ، نظرة تزن ونقابل وتقيس ، ومتى تأكدت من أنها على صواب ، أقدمت على مناصرتها اقداماً ليس فيه تراجع .

وهؤلاء الادباء أبصروا حيث يعيشون كيف يجتمع الناس ، فيتعاونون جميعاً على إرساء اساس التقدم الاجتماعي والعمراني والقومي في بلاد ليست بلادهم الاصلية ، ابصر الادباء العرب ذلك ، فقابلوا بين هذا التقدم الباهر في فترة من الزمن قصيرة لاتقاس بحياة الامم ، وبين البطء الذي تسير عليه اوطانهم ،وهي التي كانت نبراس الهدى والرشاد ، قابلوا ، وبحثوا عن اسباب الفرق ، فوجدوه في التفرق الذي يثيره الغريب واعوان الغريب ، فجمعوا قواهم المبعثرة ، وصوبوا سهامهم دفعة واحـــدة على هذه القلعة الحصينة ، فاستطاعوا ان يحدثوا فيها ثغرة ،وكان رجال الاصلاح في العالم العربي قد اجتمعوا كذلك ورصوا قواهم ، وصوبوا نبالهم على هذه القلعة ، فأحدثوا فيها ثغرة كبيرة ، وأخذت جوانبها تهوي واحدة واحدة تحت ثقل الحق وقوة العدل .

ان الادب العربي في اميركا الشمالية ساهم في هذه اليقظة القومية التي تعم الآن الاقطار العربية مساهمة جليلة نافعة .

وساهم في النهضة الادبية التي تناولت نتاج الاقلام باقدامه على تجريدها من قيود المحسنات اللفظية السخيفة ومقابلة الموضوع رأساً بغير مشاحنة ولا مداورة .

أدب الجنوب

النزعة الحماسية هي الشارة التي امتاز بها أدب المغتربين في الجنوب فهو يتناول الموضوعات الوطنية وجهاً لوجه ، ويعالجها معالجة عاطفية قد تكون في كثير من الاحيان أصدق من الدواء العقلي لها ، ويبدي رأيه في المشاكل العربية دون تلطف ، وهو يشترك وأدب الشمال في الحملة العنيفة على التفرقة المذهبية التي يثيرها الاستعمار في وطننا ، لبلوغ مقاصده الدنيئة .

- ان ادب الشمال طالب بالحرية للعرب على انها حق من حقوق الامة .

وأدب الجنوب طالب بها متمسكاً بنفس الحق ، وأضاف اليها غضبته اللاهبة على الذين اغتصبوها ، مفنداً مزاعمهم الباطلة مبيناً منكراتهم في كل من الاقطار العربية التي حلوا فيها .

واذا أردنا تعبيراً أوضح وادق : قلنا ان أدب المغتربين في الشمال امتاز بالدعوة الى نشدان الحرية . وادب المغتربين في الجنوب امتاز بالحماسة لها والدعوة الى النقمة على الغاصبين .

واذا عاد المتأمل الى قصائد شعراء المغترب في في الجنوب ، وجد فيها سجلاً صادقاً للحوادث التي شهدتها البلدان العربية منذ خمسين سنة تقريباً الى يومنا هذا .

وهذا السجل لا يقتصر على سرد الحوادث الخطيرة التي نذكر ، بل يتجلى فيه بكل وضوح شعور العرب حيالها والآمال التي كانوا يعلقونها على نتائجها الفورية او المؤجلة ، والاماني التي كانت تلامس نفوسهم .

وما من حادث ذي أهمية عن المسألة العربية نقلت البرقيات والاخبار تفاصيله الا كان لشعراء المهجر الجنوبي وكتابه آرائهم الصريحة فيه . وما من مؤامرة حيكت خيوطها ضد الامة التي ينتسبون اليها الا كان أدباء المغترب الجنوبي في طليعة من نبهوا العرب اليها والى وجوب درء أخطارها . وما من مجلى للنصر ظهر في البلدان العربية الا كان أدباء المغترب الجنوبي في مقدمة الذين هللوا له، كأن

هذا النصر نصر شخصي لكل فرد منهم

ولم يكن هؤلاء الادباء ينتظرون ان تقوم في الاقطار العربية الحوادث لينظموا او يكتبوا فيها ، وانما كانوا ينظمون ويكتبون من تلقاء نفوسهم دون ان يستفرصوا المناسبات او ينتهزوا ماجريات السياسة .

ولا نكون مغالين اذا قلنا ان القصائد والمقالات الادبية القومية ـ لا القصائد والمقالات السياسية الصحفية ، التي كتبت عن الثورة السورية التي اضطرمت نيرانها سنة ١٩٢٥ ، ان القصائد والمقالات التي كتبت في المغترب الجنوبي توازي جميع القصائد والمقالات التي كتبت عن تلك الثورة في سائر الاقطار العربية .

ونردد انها توازيها ، لا في الكمية ، فالادب لايقاس بالطول والعرض ، بل توازيها بالجودة والجمال ، وفي هضم مفاهيم المعاني التي انجلت عنها تلك الموجة القومية البارزة .

وهذا الذي نقوله عن الثورة السورية ، نقوله عن كارثة فلسطين .

ان القصائد التي نظمها شعراء المهجر في هذه النكبة تشير بوضوح الى دقائق الاحساس الذي كان يراود الامة

قبل ان تدخل الجيوش العربية تلك البقعـــة ، وتصبح مدافعها على قيد خطوات من تل ابيب ، وهي اصـــداء صادقة لخابىء الشعور الذي سيطر على الامة العربية بعد ان قبلت بالهدنة التي دبرتها الدول القوية متـآمرة على العدالة الانسانية .

ونذهب الى ابعد من ذلك ، فنؤكد ان أدباء العرب في المغترب الجنوبي تبنوا التعبير عن عواطف العرب ازاء النكبة الماثلة .

ولا غرابة في هذا الاندفاع اللافح الى تبيان هـــول الخيبة التي مني بها الادباء، فقد كانوا قبل ان يحدث ماحدث يعتقدون ان تخليص فلسطين من براثن الصهيونية العـالمية لا يتطلب الا نزهة الى الاراضي التي تقيم فيها . ولم يكونوا يقتصرون على عرض هذا الاعتقاد في هيئاتهم الخاصة ، بـل كانوا يصرحون به في الاندية العامة .

وكان من الممكن ان يتملك اليأس نفوس الادباء بعد أن أصبح للصهيونيين ما أصبح لهم في تلك الناحية المقدسة من الدنيا العربية لو لم تكن نفوسهم عامرة بالايمان بأن تلك الارض ستعود الى حضن العروبة متى أدركت اقطارهـا

اي خطر يهددها اذا لم تتسلح بالاتحاد المكين .

والحماس الوطني الشعبي الذي امتاز به الادباء الجنوبيين من العرب يبدو جلياً في أدبهم ومجتمعاتهم . وما من زائر عربي قصد تلك الناحية الا لفت نظره اول اول ، هذا الاهتمام بالحوادث العربية .

ونقتطف من مقال طويل كتبه الدكتور مجيد خدوري حين زار اميركا سنة ١٩٣٦ مندوباً عن العراق في مؤتمر نادي القلم ، هذه النبذة التي نستطيع ان تقول عنها انها مثال للتأثيرات التي كان يلتقطها كل من يزور الجوالي المذكورة .

قال الدكتور خدوري :

« أما الشعراء والكتاب فيتتبعون بدقة زائدة تطور القضية العربية ، وينظمون الشعر ويتلون الخطب الحماسية خدمة للبلاد العربية ، ومنهم الامير أمين أرسلان بجريدته « الاستقلال » والسيد مرسي يوسف عزيزه بجريدته اليومية والاسبوعية والدكتور جورج صوايا بمجلته « الاصلاح » والشاعر الياس قنصل بمجلته « المناهل » . وعلى هذا

الاساس نجد الجالية العربية — وفي طليعتها الأدباء — تشعر بما يشعر به العرب في كافة البلاد العربية » .

وقال الدكتور محمد عوض محمد الذي زار الارجنتين في السنة المذكورة آنفاً لنفس الغرض ، والدكتور عوض هو وزير المعارف المصري سابقاً :

« إن الادباء العرب في المهاجر يهتمون بالقضايا العربية الشاملة اهتمام زملائهم في الاقطار العربية والذي ينتقل منها اليهم يوشك ان لا يشعر بفرق الانتقال ، فالآمال التي تدغدغ نفوس حملة الاقلام هناك ، والحماسة التي نطالع آثارها في آثار الشعراء في الأوطان الاصيلة هي ذات الحماسة التي تطبع قصائد الشعراء العرب في هذا المغترب الذي يضم نخبة طيبة منهم » .

اما الحملات التي شنها الادباء المهاجرون على الذين يثيرون الخلافات بين أبناء الوطن الواحد فقد كان طابعها العنف والقسوة : ان الداء من الاستعضال بحيث لا تنجع فيه الادوية الخفيفة اللينة ، بل يحتاج الى الاستئصال من أساسه .

فاسمعوا الشاعر القروي يقول في عيد دعي إليه :

هبوني عيداً يجعل العرب أمة   وسيروا بجثماني على دين برهم
فقد مزقت هذي المذاهب شملنا   وقد حطمتنا بين ناب ومنسم

ولم يكن الشاعر القروي صاحب هـــذه الصـرخة العنيفة ، ولا غيره من الشعراء الذين أرسلوا قصائدهم بهذه القسوة من اليائسين وانما كانوا ينظرون الى أمتهم فيرونهـا ممزقة الاوصال ، ويتمنون لها التقدم والنجاح ومواكبـة سائر الامم السائرة الى الامام ، ويشاهدونها تتسكع في ديجاة من الفوضى ، ويبصرون الايدي الاثيمة تتـــلاعب بمصالحها فتثير النعرات الطائفية لتظل تتلاعب كما تشاء ، يرون كل ذلك فتضطرب نفوسهم بالمرارة، وتشتعل نفوسهم بالحماس ، فيتعدون حدود الاعتدال، ويرسلون ما يرسلون من نفثات وانما هي تمنيات ورغبات بأن ترتقي من جـديد راية العروبة لترسل كما كانت في الزمن القديم أشعة الهدى والحق .

واذا كان الادب العربي في البرازيل قد نال من الشهرة مالم ينله غيره ، فلأن صرخاته القومية كانت اعلى واقوى وأعم ، ولأن القدر شاء أن تنعم عليه بوجود شـاعرين ، بوسعنا التأكيد أنهما صاحبا مدرسة الشعر القومي الحماسي ،

في المهاجر هما القروي والياس فرحات .

ان لقصائد هذين الشاعرين طابعاً خاصاً ينفردان به عن بقية الشعراء الذين تناولوا الموضوعات الوطنية ، فهما يذهبان مع الحماس القومي ذهاباً تنقــذف عنه النبال ، وتترامى الحمم ، ولا نفاضل بينهما ، فلكل منهما ضمن الطابع الذي يجمعهما ، طريقة خاصة في تأديه فكرته وفي عرضها .

وظلت هذه الميزة لهما الى سنوات قليلة خلت الى مابعد الثورة السورية التي تدفقت سيولها من جبل العرب ، فسار عليها الادب العربي في بقية المهاجر ، وكانت لأربابه من الصرخات الشعبية ما لا يقل عن هؤلاء اندفاعاً في الدعوة الوطنية . ونقدم على ذلك مثالاً : فقد أصدر كاتب هـذه السطور منذ ٢٥ سنة ديواناً من الشعر دعاه « السهـام » واذا بالسلطة الفرنسية تصدر قراراً بمنعه من دخول البلدان التي كانت مشمولة بانتدابها ، وما هي غير أيام حتى اصدرت الحكومة الانكليزية كذلك قراراً بمنعه من دخول البلدان المشموله بانتدابها . وليست العبرة في القرارين بحد ذاتها ، ولكن في ان القرارين صدرا قبل ان تنتهي المطبعـة من انجاز الطبـع !

في سبيل العيش

لم يحمل المغتربون من وطنهم الا الذكريات والا العزائم ، فخاضوا غمرات الكفاح اليومي في سبيل المعاش ولم تتمكن المصاعب التي كابدوها من ان تمحو من خواطرهم صوراً حفرتها أيام الصبا والشباب التي قضوها بين أهلهم وابناء عشيرتهم .

ولم تكن الاعوام التي تنقضي وهم في الغربة الا لتجترح الاعجوبة التي يجترحها البعد في كل قلب ، ويسبقها الحنين في كل بال : فقد أخذت تتلاشى من تلك الذكريات الخطوط القاتمة فينسون ماعانوا في بلادهم من كوارث ، ولا يبقون الا على الالوان الزاهية المشرقة . وما هي غير مدة قصيرة حتى غدت تلك الذكريات حافلة بكل جميل رائع ، لايشوبها مافي الواقع من مرارة ،

وشأن المغترب في ذلك شأن العاشق المتيم الذي يقف الدهر بينه وبين حبيبته ، وينبري الخيال فيزيل من رسم الحبيبة كل أثر من آثار النقص، مهما كان بسيطاً ضئيلا ، ويظل ينسخ الى ان تمسي تلك الصورة مثالاً للكمال الذي مابعده كمال .

ومن البديهي ان يكون الفنان- ناثراً كان ام شاعراً- أسبق الناس الى الاقتناع بما يفرضه الخيال في حالة البعد التي ذكرنا ، وان ينسى - لا ان يتناسى - ما في بلاده من شؤون تحتاج الى الاصلاح ، وما في قومه من امور تفتقر الى الترميم .

لقد غدا وطن الشاعر العربي، في رأيه المثل الاعلى للجمال ، ومضى يتغنى بهذا الوطن ، وينظم فيه القصائد ، ويتذكر معانيه ومافي معانيه من روعة وسحر ، ويرى ان سبب ما يعاني من بطء الى انتهاج مسلك العمران يعود الى الاجنبي المغتصب ، فنجمت عن ذلك غضبته ، وكانت تلك القصائد القومية التي هي انغام تتجاوب والانغام التي تطلع من العالم العربي ، من ارباب الاصلاح الاجتماعي القومي ، واصداء صادقة للأنات والتأوهات التي كانت تتصاعد من

الشعب المسكين الكادح ، وظلال واضحة للاحلام والاماني التي كانت احلام الشباب الواعي وأمانيه .

وكانت صرخات الادب العربي في المهاجر .أعلى من صرخاته في الاوطان الاصيلة ، ولا عجب ، فقد كان الادب في المهجر ينعم بالحرية التامة ويتأثر بالنهضة الوطنية الباهرة التي يشاهدها في البيئة التي يعيش فيها ، ويتلقن منها اماثيل الحماسة الصادقة، وكان في الاوطان الاصلية مكبلاً بالسلاسل والقيود لايكاد يستطيع التنفس ، واذا فعل ، أسرعت أيدي المغتصب الآثمة الى كم فمه وشدت على خناقه .

وكان لابد للادب العربي في المغترب من ان يتجه الى ناحية ثانية من نواحي الغيرة على وطنه ، تلك هي ناحية الحنين الهادىء اليه ، تحدوه الذكريات العديدة التي خزنها قلبه بعد ان جرد منها سيئاتها ، وقصائد الشعراء في هذا الباب تذوب رقة ،وفيها شارة الخيبة التي قابلهم بها دهرهم.

ان كثيرين منهم ركبوا البحر على رجاء ان يعملوا أبسط عمل وان يغتنوا منه بالسرعة التي يحلمون ، وكان الواقع غير ذلك ، فاضطروا الى الكدح ، وقابلهم دوي

الكفاح الذي كاد يصم آذانهم ، ولم يتعودوه في بلادهم ، فأثر في عواطفهم أبعد أثر .

وهذه الحالة يصفها شفيق معلوف أجمل وصف وأدقه في هذه الأبيات :

ابيت وللفولاذ حولي جبابر حلاقيمها غصت بخيط معقد
متى شاقها التقبيل دوت بصعقة بها جلمد يهوي على صدر جلمد
فأين مجال الوحي منها وشدقها يلوك حديداً تحت ناب محدد ؟

ثم يلتفت الى اخوانه في العصبة الاندلسية ، ويتابع :

فوالله لولا ان يهيج صداحكم بصدري احلام العلى لم أغرد
ولولاه ما كانت قوافيّ بينكم سوى صوت تصدام الحديد المعربد

ويقول مسعود سماحة عارضاً حالته في غمرة العراك اليومي الذي لا غنية عنه :

كم طويت القفار مشياً وحملي فوق ظهري يكاد يقصم ظهري
كم قرعت الابواب غير مبال بكلال وقر فصل وحر
كم ولجت الغابات والليل داج ووميض البروق شمسي وقمري
كم توسدت صخرة وذراعي تحت رأسي وخنجري فوق صدري

ويقول القروي شارحاً لنا ما كان يعانيه من مضض الكفاح في سبيل العيش :

دفنت ربيع عمرك في بلاد ... بها طالت لياليك القصار
ثمارك من طوافك سعي نمل ... وحظ صراصر، بئس الثمار
فكم من يقظة لك في الدياجي ... تقضي قبلها نوم غرار
وفي اذنيك صوت مستمر ... «رشيد» أفق، لقد صفر القطار
هموم لا أزال لها أسيراً ... وشر مصائب الحر الاسار

ويقول فرحات عن العمل الذي يؤديه :

ومركبة للنقل راحت يجرها ... حصانان محمر هزيل واشهب
لها خيمة يدعو الى الهزء شدها ... غرابيل ادعى للوقار وانسب
جلست الى حوذيها وورائنا ... صناديق فيها ما يسر ويعجب
حوت سلعاً من كل صنف نبيعها ... فتى ما استحل البيع لولا التغرب
وراحت كأن البر بحراً نجاده ... واغواره امواجه وهي مركب
تبين وتخفى في الربى وحيالها ... فيحسبها الراؤون تطفو وترسب
وتدخل قلب الغاب والصبح مسفر ... فنحسب ان الليل لليل معقب
تمر على صم الصفا عجلاتها ... فنسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق الناتئات من الحصى ... فنوشك من تلك الخلاعة نقلب
ونمسي وفي اجفاننا الشوق للكرى ... ونضحي وجمر السهد فيهن يلهب
وما كلنا مما نصيد وطالما ... طوينا لأن الصيد عنا مغيب

ونشرب مما تشرب الخيل تارة وطورا تعاف الخيل ما نحن نشرب
حياة مشقات ولكن لبعدها عن الذل تصفو للابي وتعذب

ويرد ابو ماضي :

اثنان اعيا الدهر ان يبليهما لبنان والامل الذي لذويه
نشتاقه والصيف فوق هضابه ونحبه والثلج في واديه
واذا تعد له ذكاء حبالها بقلائد العقيان تستغويه
واذا تنقطه السماء عشية بالانجم الزهراء تسترضيه
واذا الصبايا في الحقول كزهرها يضحكن ضحكاً لا تكلف فيه
هن اللواتي قد خلقن لي الهوى وسقينني السحر الذي أسقيه
هذا الذي صان الشباب من البلى وابى على الايام ان تطويه

ويقول جورج صيدح :

ايعود للوطن الغريب النائي يارب هونها على الغرباء
حتى متى يبري الحنين صدورهم والعام يتلو العام دون لقاء
ارواحهم علقت بمرقد عنزة بالبيت شط فصار بيت الداء
وكأنهم اخذوا على طول النوى عهداً لانفسهم بطول بقاء
ياسائل الايام تحقيق الرؤى ابشر جوابك من فم العنقاء
بين المهاجر والديار حوائل غير اجتياز البحر والجوزاء

ويقول رشيد ايوب شاعر الشوق :

من مبلغ فرط شوقي جيرة الوادي   واها لقد جارت الدنيا بابعادي
وصرت لما وهت أيام ميعادي   الى الرجوع بأحلامي اداويها

ويقول ابو الفضل الوليد :

فديتك يا أرض الشام فمنك لي   ثراء على فقر وسكر بلا خمر
متى أطأ الثرى الذي هو عنبر   واملأ من هاتيك الربى صدري

ولو شئنا ان نمضي في سرد الشواهد على هذا الحنين الذي لم يفارق شاعرا من شعراء المغترب في أي حالة من الحالات لاحتجنا الى فسحة طويلة من الوقت قد تستغرق معظم مانظمه هؤلاء الشعراء النوابغ .

جزاء الأدب

فتح العرب بلاد الاندلس وأنشأوا فيها تلك الدولة التي علمت الانسان الاوروبي ما هو الحق وما هي العدالة ، ورفعوا فيها من البدائع ما لا يزال الى يومنا هذا أعجوبة البناء وأعجوبة الفن وأعجوبة الجمال ، وقام الشعراء والكتاب بقسطهم من الفتح فكان الادب الاندلسي الذي أختط لنفسه طريقاً غير الطريق الذي كان معروفاً عهدئذ ، وكانت تلك القصائد التي يشعر المرء وهو يطالعها انها نبضات قلب تتدفق فيها ومنها الحياة .

ومرت أربعة أجيال ، فتدافع أبناء العرب على العالم الجديد ، وبنوا فيه صروحاً اجتماعية واقتصادية برهنت على ما في نفوسهم من عزائم تهزأ بالصعاب ، وعلى

مافي ارادتهم من جبروت هيهات ان تقف في وجه العقبات ، وكان للأدباء قسطهم في بناء تلك الصروح ، اذ رفعوا فيها جناحاً للفن ، ملؤه الجمال والفخامة ، أرسل أشعته على سائر الانحاء فلفت اليه الأنظار ، وبدد ما كان يخالط كثيراً من السبل من ظلام أو ضباب .

والفرق بين الخطوتين أن الاولى فرضت سلطانها مبتدئة بقوة السيف ونشرت جلالها بحق القوة ، وحمت بظباها المعاهد التي أسستها ، ثم ما لبثت أن استبدلت كل ذلك — وقد استتب لها السلطان — بقوة العدالة ، وبحق الانصاف ، فأزهر الشعر وأثمر ، واستقام الفن واستطال ، وتوطد الجمال وتركز ، وثبت التجديد وامتد .

اما الخطوة الثانية فقد بنتها الجهود الفردية ، وأرست أساسها التضحيات الشخصية ، وجبل ترابها العرق الذي تصبب من الجباه غزيراً ، وما كاد المستقبل تبدو فيه التباشير الضاحكة حتى أينع الشعر

واخضوضر ، وانتشر الجمال وانتثر وتفرع التجديد وعمّ .

وما بالقليل ان تقوم للمغتربين هذه الدنيا الجديدة الحافلة بكل طريف من المعاني ، وبكل جليل من الاعمال ، وبكل خالد من الآثار وهم على ما كانوا عليه الى سنوات قليله خلت .

وما بالقليل ان تقوم لهم هذه الدنيا ، واخوانهم في الاوطان الاصلية مشغولون عنهم بأنفسهم . يجابهون المستعمرين ، ويدفعون عنهم الأذى والاستعباد ، ويناضلون ليحرزوا ما يصبون اليه من رغائب الاستقلال والحرية والسيادة .

لقد كان الادباء لايزالون يعرفون ان عليهم واجباً اذا لم يؤدوه على أكمل وجه ، سجلوا على نفوسهم تقصيراً لايرضونه بحال من الاحوال .

ان الادباء العرب هم الذين حافظوا على اللغة العربية في المهاجر الاميركية ، فأصدروا الصحف التي كانت تحمل اخبار الوطن اليهم ، وتنقل الى الوطن اخبارهم ، وانشأوا المدارس التي لقنت الناشئة لغة آباءهم ، وذكرتهم

بأن اوطانهم خلقت عالماً من الامجاد يبلي الدهر ولا تبلى جدته .

ولم يلق هذا الاديب ما هو جدير به من المكافأة والجزاء ، ولم يتذمر ، فقد كان يدرك منذ حمل رسالة الادب ان لاجزاء له ولا مكافأة ، وانه أقرب الى الجاري ان يجد العقوق الذي يلقاه كل من يسعى الى خدمة المجموع في أي قطر من الاقطار وفي أي عهد من العهود .

وكانت الحملات التي وجهت الى هذا الاديب – الاديب المغترب – اكثر من أن تحصى فقد اتهمه البعض بأن ادبه سطحي لايتغلغل الى صميم الحياة ، ودرء هذه التهمة لايحتاج الى كثير من الشرح لاظهار ما فيها من الظلم .

هذه كتب جبران : انها تغوص الى أعماق النفس الانسانية لتعرض على الناس خوالجها ، ومشاعرها على الانسانية ، وانه من هؤلاء الذين يجردون الانسان من كل فضائله ليطلعوه على حقارة جبلته .

وهذه قصائد ايليا ابوماضي وفيها صور صادقة عن العواطف تظهر فيها أصغر خطوطها وأخفى الوانها ، يمر بالمشهد الذي يمر عليه كثيرون فلا يرون فيه ما يستحق التسجيل ، واذا هو يطلعك في هذا المشهد البسيط على شواطىء تتشابك فيها دفقات الاحساس المختلفة .

وهذه مقاطع فرحات تشرح لك مايكنه الانسان من شعور في حالاته المتباينة ، فتكاد تهتف وانت تطالع قوافيه : « صحيح اني كذلك » .

وهذه روائع القروي تنقلك من هذه الدنيا على أجنحة خفية من السحر الى عالم ليس فيه غير الخيال والروعة ، فتتمنى لو كان هذا الكوكب السيار ظلا لذلك الكوكب الذي يخلقه القروي .

واتهم البعض الآخر الادب العربي في المهاجر الاميركية بأنه تحلل من روابط اللغة ومن ضوابط النحو فابتعد عن الفصاحة العربية ، واقتبس من ادب الغرب استعارات وتشابيه لاعهد لنا بها ، واشتق من

الالفاظ فروعاً لاتجري على السنن التي تعرفها الضاد .

واصحاب هذه التهمة يتجاهلون ان اللغة « شيء » فيه حياة ، وليست مومياء محنطة ، ولا بد لها بين الحين والآخر من مصل يجدد فيها النشاط ، ويدفعها الى مجاراة سائر اللغات .

اننا نستنكر كما يستنكر اشد المتعصبين للعربية الخروج على القواعد والاستهتار بالضوابط ، ولكننا لانرى أي بأس في التجديد الذي يعنيه تطعيم الاسلوب العربي بالاساليب الغربية ، فان كان التجديد جديراً بالحياة عاش ، على الرغم من محاربته ، والا فليس على وجه الارض قوة تستطيع احياءه .

ومن ينكر أن الطريقة التي ننظم وننثر فيها الآن ليست الطريقة التي كان أسلافنا ينظمون وينثرون فيها ، وان عدداً ضخماً من الالفاظ العربية الصحيحة قد بطل استعماله ، ولم يعد صالحاً للحياة ، وان عدداً آخر لايحصى من الكلمات الجديدة قد دخل على اللغة ، وغدا من صميمها .

ومن أغرب التهم التي ألصقت بالادب العربي في المغترب ان الذين حلوا في الشطر الجنوبي من العالم الجديد أدباء جامدون وان بينهم وبين زملائهم في الشطر الشمالي بوناً شاسعاً لايضبطه قياس .

ولم نعلم ما أراده الكاتب ، فان كان يعني ان أدباء الجنوب ذوو ديباجة عربية خالصة من شوائب العجمة والرطانة فان ذلك من مفاخرهم ، وان كان ما عناه انهم لم يحلقوا في الآفاق التي حلق فيها زملاءهم الشماليون فاننا نقرر ان لكل شاعر ، جانباً في أفق الابداع لايحلق فيه غيره ، ولو وجد شاعران متماثلان أتم التماثل في كل شيء لأمكن الاستغناء عن واحد منهما واجباً من أهم الواجبات الادبية .

واذا كنا نقول ان أدباء اميركا حملوا لواء التجديد فلا يعني أننا نقسم الادب الى قديم وجديد كما يحاول البعض ان يقسموه بل نعني ان ادبهم صادق وفيه حياة ، وانه منسول من الواقع الذي فيه يحيون ، وحسب الاديب من الفضل ان يكون أدبه تعبيرا صادقاً عن

شعوره المرهف وان يكون تعبيرا حياً عن احساس الوسط الذي يعيش فيه .

ولا نحاول ان نعزو الجودة والابداع الى كل من كتب سطرا او نظم بيتاً وهو بعيد عن بلاده ، ان بين أدباء المهاجرين فئة يبرأ منها الادب ، ولكن المنصف لايمكنه ان يتخذهم مقياساً لأدب المغتربين ، فان اتخذهم فقد ظلمهم ظلماً فادحاً .

لقد طلع فريق، قليل عدده ، من هؤلاء الذين اندسوا بين أدباء المغتربين بنغمة غريبة هي ادعاؤهم انهم من شعراء الرمزية او شعراء ما وراء الرمزية ، واستطاعوا ان ينشروا شيئاً من منظوماتهم الغامضة على انها الادب الجديد ، ولكن الحق اظهر ان تقصيرهم في التحليق الابداعي الرزين هو الذي دفعهم الى تلك الهوة التي حسبوها قمة ، واذا بالنسيان يغلف ماظنوه ادبهم ، واذا بالاعراض يهيب بهم الى اتخاذ سبيل غير الادب للشهرة .

لقد ادى أدباء العرب في العالم الجديد قسطهم من

الجهاد الادبي ، وكانوا فيه موفقين كل التوفيق ، وكان لهم فضل المحافظة على الروح العربية في المهـاجر التي حلوا فيها بما نشروا من صحف ، وما نظموا من قصائد ، وما كتبوا من مقالات .

وقد أجاد الاستـاذ جورج حسون المعـلوف في المقابلة بين أدباء العالم العربي وادباء المهاجر الاميركية اذ قال : « وبينا يعيش الشعراء المتخلفون في بـلاد عربية خالصة ينظمون فيها وينشؤون محترفين ، تجري اللغة على ألسنتهم ليل نهـار ، وترن في مسـامعهم ، وتتسنى لهم كيفما اداروا وجوههم المجادلات والابحاث فيها ، يقضي هؤلاء الايام والاسابيع دون ان تدور على ألسنتهم لفظة عربية ، والعجمة واقفة لهم بالمرصاد فلا ينطقون الا بلغات الاغيار ، ويذهبون ادمغتهم في الاخذ والعطاء والبيع والشـراء ، فلا ينظمـون الا غرارا ، وعلى غفلة من متاعب الحياة والكـدح وراء الرزق، ولذلك عددت شعرهم فيضاناً وشعر اولئـــك أدلاء ، ناهيك بما في حياة التاجر من تجسم المـادة

وبعده عن مواطن الخيال والجمال ، وقتلها للشاعرية في محترفيها نظرا الى ما يحفها من الحيل ، وما يفسدها من ضروب المواربة والختل والكذب كما قال ابن خلدون » .

مصير أدب المغتربين

ما مصير الادب العربي في المهاجر الاميركية ؟

انه يتلاشى شيئاً فشيئاً ويخفت صوته رويداً رويداً، ولن يمر عليه طويل وقت حتى يصبح أثراً بعد عين يذكره الباحثون والمؤرخون حين يريدون ان يدرسوا مراحل الادب في ميدان النهضة الفكرية الاخيرة .

لسنا من المتشائمين : اننا في طليعة من يظل معلقاً بخيط الرجاء والامل منتظراً ان يصل به الى حيث يبغي وان يكن ما يبغي بعيد المنال ، ولكن الحقيقة يجب ان تقال ، حتى اذا كان بالامكان ملافاة ماتجره من خطر واذى يعمد الى تلافيها ، والا وطدت النفس على قبول ما تنطوي عليه من أذى وخطر .

ان العوامل العديدة تتضافر في المهاجر الاميركية

لتقضي على هذه الدولة الادبية الباذخة التي لايستطاع انكار تأثيرها في حياة القلم العربي .

ان هذه العوامل تتضافر وتتجمع وتتحفز لتغلب الادب ، وهو لايزال مع ذلك يدافع أمجد دفاع ، ولا يبرح واقفاً وقفة العز يأبى ان يسلم سلاحه ، واذا رجحت عليه كفة القوى التي يجابهها فلن ينهزم، ولن يفر من المعركة ، ولكنه سيقضي وهو منتصب على قدميه كما تفعل الدوحة العظيمة التي اعتادت ان تفرش أغصانها ليستظل بها كل عابر لفحته الشمس، وان تمنح ثمارها لكل عاطش ألح عليه السغاب والعطش .

سيتلاشى الادب العربي في العالم الجديد بعد ان تتلاشى الصحافة العربية فيه ، وهي الميدان الذي كان يجول بين حدوده .

والصحافة العربية في المهاجر قد دخلت ـ لسوء الحظ ـ في هذا الطور الذي تنظر اليه الضاد آسفة .

ان المهاجرين القدامى ، وهم الذين يغذون الصحف بالمطالعة والتأييد والمؤازرة قد أصبحوا على ابواب

الابدية ، وكثيرون منهم قد اجتازوها الى رحمة الله ، وأولادهم وأحفادهم قد انقطعت بينهم وبين المطالعة العربية الصلة ، او اوشكت ان تنقطع ، لان البيئة التي يعيشون فيها قد دفعهم سيلها العرمرم ، وهذه البيئة تعتبرهم اولادها بحكم الولادة والسياسة والعرف الدولي كما هو الواقع ، وهم يعتبرون انفسهم أبناؤها كذلك بحكم التربية والمعاشرة والمعايشة ،ودفقات المهاجرة التي كانت لا تنقطع من البلدان العربية الى العالم الجديد قد خفت أو جفت ولن تعود ، ـ اذا عادت ـ الا ضئيلة او هزيلة من جراء ما اتخذته وما تتخذه البلدان العربية من اجراءات تقف دونها .

وهذه الدفقات التي كانت في وقت من الاوقات نهراً متوصل الجريان هي التي كانت تجدد للصحافي وللاديب قراءهما والمعجبين بهما .

والاديب في كل قطر من اقطار الدنيا بأمس الحاجة الى المعجبين الذين يلقون في سمعه عبارات التشجيع ويحملونه من حيث لايشعر ولايشعرون

على الاستخفاف بما تقتضيه رسالته من تضحية .

وقد شكا الي زميل كريم حالة جريدته التي يخف فيها المشتركون يوماً عن يوم ، وصارحني بأنه سيضطر الى حجبها اذا ظلت تسير في نهجها ، وجلست واياه ودرسنا وضع الصحيفة درساً بعيداً عن العاطفة وحكمنا فيه العقل وارتكزنا على الارقام . فلم نجد لتضاؤل المشتركين فيها الا السبب السابق المذكور ، فنصحته بأن يجاري التيار ، وان ينقل بضعة من صفحاتها الى اللغة الاسبانية على أن تبقى روحها وغايتها واخبارها ومواضيعها عربية ، ففعل ، وما هي الا اسابيع حتى انتعش عدد النسخ التي كان يطبعها منها ، وعادت الى ما كانت عليه من الرواج في عهودها الاولى .

وبانقطاع سيل المهاجرة العربية الى اميركا ينقطع كذلك وصول الادباء الجدد الذي يمكنهم ان يحلوا محل الذين تخلو مواضعهم .

فأدباء الشيوخ او الذين تقدمت بهم السن ، اصبحوا ازاء هذا الوضع الذي ذكرنا ، مضافاً اليه عجزهم ـ الذي

لايلامون عليه – كالفتائل التي تشع حيناً ، وتنطفىء حيناً ، ويلبث نورها حتى في الحالة الاولى خفيفا طفيفا .

اما حملة الاقلام الشباب ، فانهم يشهدون هذا الصراع الاحتضاري ، ويتخذون له العدة الواجبة وهم فئتان :

فئة قد تغلغل الادب في نفوس افرادها تغلغلا اصبح جزءا منها ، وهم لا يستطيعون ان يتركوا الكتابة ، واذا تركوها لم يجدوا للحياة معنى ولا لذة ، فهم ينصرفون لارواء هذا الغليل ، الى أدب البلاد التي يقيمون فيها ، ويلقون فيه من الجزاء غالباً مالا يلقونه في أدب بلادهم ، ويغويهم في سلوك طريقه ان الاشواك فيه ليست بكثرة ما كابدوا في الطريق العربي ، وان الشهرة في المجال الاميركي تدر على على صاحبها الى جانب هذا الجاه مايعيش بواسطته هانئاً مطمئناً .

والفئة الثانية يتحول أعضاؤها من أدباء مهنة الى الى أدباء ترف – اذا صح هذا التعبير – فلا ينظمون

ولا ينثرون الا في المناسبات القليلة ، ويكون أدبهم في هذه الحالة الهية من الالاهي ، لا اندفاعاً عازماً خارجاً من صميم النفس . والذين لا يمكن ان نسلكهم بين هؤلاء او اولئك ، ينصرفون الى الكدح العادي الصرف ، ويضطرون الى بتر الاواصر التي تربطهم الى هذه الحرفة التي لايجنى منها الا التعب .

هذه هي النتيجة التي سيفضي اليها الادب العربي في العالم الجديد ، ولن يكون ذلك بعيدا ، وكل مجهود في هذا الصدد لايغير المصير ، وانما يؤخره بعض التأخير ، ويؤجله الى أمد يطول او يقصر وفقاً للاحتياطات التي تتخذ .

وأقرب حل لهذه المشكلة — اذا كان هذا الواقع الطبيعي مشكلة — هو ان يبذل الادباء العرب جهدهم للعودة الى بلدانهم ويواصلوا فيها مابدأوه .

غير ان هذا الحل لايمكن تطبيقه على جميع الادباء ولا على الاغلبية منهم . ان منهم ذوي مصالح وارتباطات بمهاجرهم لا يمكنهم — مهما بذلوا — ان

يتخلصوا بالسهولة التي يقدرها البعيدون عن مضمار العراك اليومي في اميركا ، والبعض منهم يرون في عودتهم بعد ان قضوا الاعوام الطويلة في بلاد الذهب وهم صفر الايدي يجرون اذيال الفشل المادي انتقاصاً من كرامتهم ، فيفضلون ان يظلوا في مهاجرهم يكابدون لوعة الحرمان في وجهيها المادي والمعنوي على ان يعودوا كما يعود القائد المدحور من المعركة التي كان يعتقد ان النصر فيها حليفه .

ان الاوضاع التي تغلب فيها الادب العربي في المهاجر هي أوضاع طبيعية . فقد بدأ صغيرا لا شأن له وأخذ ينمو نموا متزناً الى ان بلغ أشده ، فجاهد جهادا سجل له بمداد الثناء وحفت به مظاهر الاعجاب ، وما برح ينتج الى ان عرته اولى مجالي الشيخوخة والهرم ، فرضي بمصيره المحتوم .

لقد تقلب هذا الادب بين مد وجزر ، وذاق الحلو والمر ، وجابه العسر واليسر ، انما كان في جميع ادواره صادقاً كل الصدق ، لم تبطره نعمة ، ولم يدخل اليأس

قلبه لصعوبته .

واذا حاولنا ان نجري تقويماً منصفاً بين ماله وما عليه رأينا أن الذي قدمه أكثر بكثير من الذي أخذه ولم يكن حفوله بهذا الجزء الضئيل الا لفتة لاشأن لها ثم يتابع مسيره بنشاط من لاقى ما يستحق من مكافأة .

لقد كانت الثمرات التي قدمها هذا الادب منوعة تنوع الادب نفسه ، فبرز فيه الشاعر الذي يخلق من خياله آفاقاً جديدة يحلق فيها ويحمل اليها قارئيه ، ليطل بهم منها على رغائب العدالة والحق والجمال والفتنة ، والكاتب الذي يجمع الى روعة الاسلوب عمق التفكير وصدق الاستمتاع ، فيتناول الموضوع ، فنلم بجميع اطرافه ونواحيه ، ولايتركه الا وقد وضع له من الادوية ما يبرهن على عقل يتسع لاستيعاب المعاضل العديدة .

واللغوي المدقق الذي يكشف لك اسرار اللغة الخافية ، فتزداد لها محبتك ويتضاعف اعتزازك ،

والمنشيء الناصع الديباجة الانيق العبارة الذي يذكرك بالعهود العربية التي كان فيها للبيان شأن، واي شأن! والقاص الذي يغوص الى اعمق اغوار النفس الانسانية ويجلو عليك خوالجها الخفية كأن عينـــه اعجوبة من الاعاجيب لها الثانية الف لفتة ولفتة .

واذا كانت الناحية التي اشتهرت عن أدب المغترب هي الشعر ، فلأنه اقرب الى شرح ما يغمر الافئدة من الحنين الى الارض التي تركها أبناؤها وذكرياتها تملأ عواطفهم .

ان ادب المغتربين هو أدب خالد لا يمكن للدهر ان يمحوه كما محا كثيراً من الآداب التي لم تتمكن من ان تجاري الحياة ، ولا ان تقلل من شأنه كما فعلت ببعض انواع الادب التي اتخذت لنفسها اسماء ومدارس لانها أعلى من اي مدرسة رمزية او واقعية ، فمدرسته هي الحياة .

هذا الادب قد انطلق قنابل وقذائف ايام كانت كانت البلدان العربية جميعها تناضل وتجاهد في سبيل

استقلالها وسيادتها وكرامتها ، ويعرض الشباب صدورهم لنيران المستعمرين ، فتنزل على جراحها بلسما وعلى قلوبها منى وسلوى .

هذا الادب قد تضوع ازهاراً في العهود التي كانت البلدان العربية تستجم من نضالها او تتمتع بما أحرزت من أمان قومية .

ان الشعور العربي في المهاجر الاميركية كان دماً حارا سرى في شرايين الادب العربي فجدد فيه الانباض.

ان الشعر العربي في المهاجر الاميركية كان ولا يزال ـ البوق الامين الذي عبرت فيه الامة عن شعورها ايام كان المستعمر يكم أفواه الذين يحاولون ان يرفعوا أصواتهم في الاوطان الاصيلة .

انه غنى آمال الأمة الغناء الطريف الذي هفت اليه النفوس قبل الاسماع .

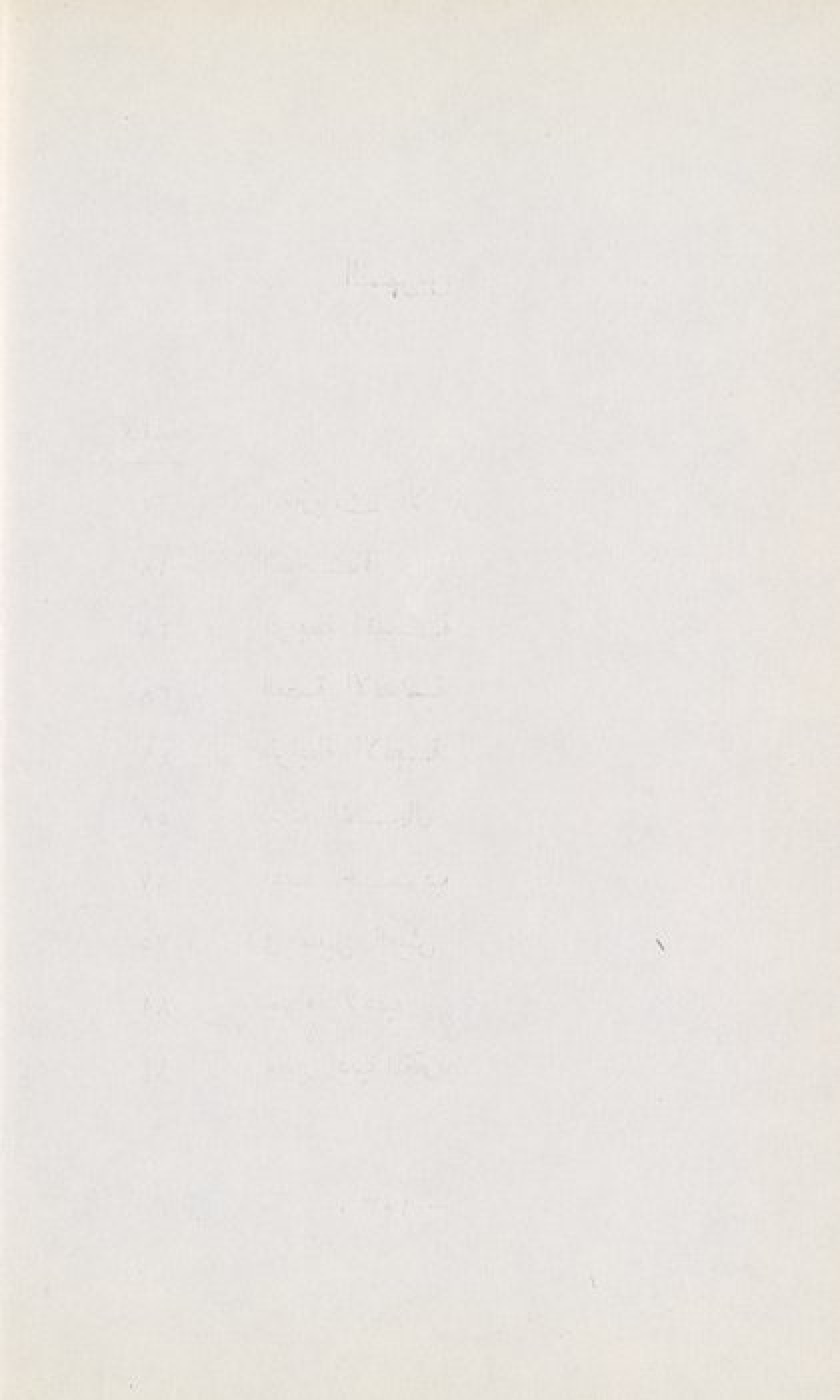
انه جابه المستعمرين والطغاة والخونة ، ودمغ جباههم بمكاوي الحق والعدالة ، وأهوى بأمخال الوطنية على معاقل الاقليمية والعصبية فدك معالمها ؛ وتركها

قاعاً صفصفاً .

انه نظم احاسيس الامة العربية قصائد ترتعش في قوافيها الحماسة والشوق والانفة والحنين والكبرياء واللوعة .

انه أدى واجبه على أكمل وجه ، وأحسنه ، وضم الى امجاد العروبة تراثاً خالدا سينظر اليه التاريخ بما هو جدير به من العناية والرعاية .

الفهرس





ملتزم الطبع والنشر

المكتبة العمومية

شارع بورسعيد ، دمشق

السعر : ١١٠ ق . س . ل